تموز - العدد الثاني
السنة الثالثة

عدد خاص

عن



الياس فرحات

الشاعر العربي الكبير

الثقافة

مجلة فكرية جامعة

عدد خاص

عن :

الياس فرحات

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية ادبية شهرية

دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

العدد الثاني
(تموز) ١٩٥٩
السنة الثانية



كلمة :

سيادة الاستاذ رياض المالكي
وزير الثقافة والارشاد القومي للاقليم السوري

التي القاها في مهرجان فرحات

أيها السيدات والسادة :
أيها الشاعر الكبير :

بالأمس القريب كرمت الجمهورية العربية المتحدة الشاعر القروي الاستاذ رشيد سليم الخوري واليوم تكرم رفيقه الشاعر الكبير الاستاذ الياس فرحات .

وانها لغبطة كبرى أن تتاح لها خلال فترة قصيرة هذه الفرصة الغالية ، فرصة اللقاء بشاعرين عربيين فذين كانت حياتهما دائماً حنيناً الى الوطن وكفاحاً مستمراً في سبيله . وانها لفرصة حقاً أن تؤوي العروبة في أضلعها قلبين وفيين طالما خفقا لها من بعيد . ونحن اذ نكرم اليوم الاستاذ الياس فرحات ، فاننا لا نكرم شاعراً مبدعاً مجدداً فحسب ، وانما نحتفي الى هذا بالانسان الكبير الذي عرف ان يوحد بين شعره وحياته ، فجاءت حياته صورة صادقة عن شعره ، بل قل جاء شعره مرآة صادقة عن حياته ، على حد تعبيره هو نفسه . لقد كان صادقاً في أحاسيسه ومشاعره صدقه في سلوكه . ولم يهن ولم يلن ، ولم يتنكب طريق النضال المستمر في سبيل ايمانه بقوميته وبالوطن العربي الكبير . ومضى في نهجه دون أن يبالي بالاشواك تملأ دربه الشاق الوعر ، واهتز وتر قلبه لكل حادثة وقعت في وطنه العربي ، ورافق نضال هذا الوطن خطوة خطوة ، وسجل افعال المخلصين له ، وثار على المقصرين المتآمرين . بل لقد بلغ به حرصه على الكفاح في سبيل حرية أمته وخلاصها من مستعمريها وادوائها الاجتماعية ان انكر على رفيق جهاده المرحوم شفيق عمادميتته ، كأنما يرى ان معركة العرب لا تسمح للمناضلين حتى بالموت المبكر .

فعل هذا كله وهو المناضل في سبيل العيش ، المكافح في طريق الرزق ، المصارع نوب الايام . لقد عرف ان يمتاح من حياته القاسية ارق المعاني الانسانية وأنبلها وان يزداد صلابة في الحق وجرأة في القول وصدقاً في الكفاح وحنيناً الى الخلاص .

ايها الشاعر الكبير

لطالما حننت الى الوطن ، بل لقد كنت فيه دائماً في حلك وترحالك ، ولم تفارقه حتى في غربتك ، كما قلت يوم وصولك وهاجرت منه « وقلبك فيه لم يزل » على حد قولك . بل لقد حلمت بالعودة اليه في شعرك ويممت شطره في رحلاتك الثلاث التي تخيلتها في ديوانك . وخشيت ألا تمن عليك دار العروبة بلقيا تسترد بها فجر الشباب . ولكن العروبة لم تمن عليك بهذا بل أنت الذي مننت عليها به اذ لبيت دعوتها ، وعدت الى أهل واخوان يتشوقون الى لقاك .

لقد رفعت هامك دوماً وكانت جذورك مطمئنة في ثرى امتك ، وان أردت في شعرك غير هذا فطب مقاماً في ارضك وبين بني عشيرتك الذين يعتزون ويفاخرون بك .

سيداتي سادتي :

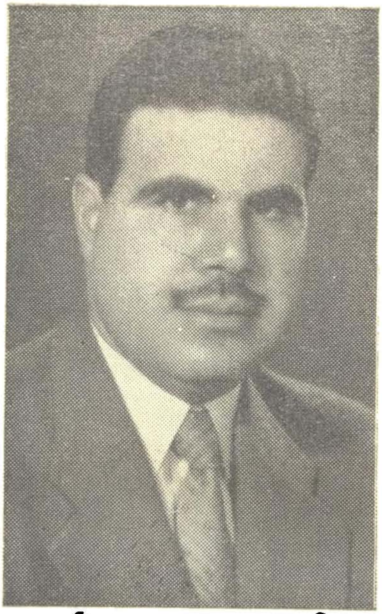
ان شعراء وادباء المهجر هم خير تعبير عن اصالة العربي وقدرته على الابداع والخلق ، وحفاظه على روحه وتراثه . وان مما يزيد الأمة ثقة بنفسها وانسانيتها أن تغادر أرضها فتية في عمر الزهور ، لم يلقوا فيها الا الظلم والجور ، ولم ينالوا من ثقافتها الا الزاد اليسير ، فاذا بهم في غربتهم خير الدعاة لها ، الحملة لثقافتها الذاكرون لخيرها وعهودها .

وما تكريمنا لهم الا تكريم العزة القومية التي تأبى أن تهون ، والنفس الأبية التي تعرف أن تبدع لأمتها أنى كانت ، والطبع العربي الذي يقدم بصدقه واصالته زاداً انسانياً خالداً .

الياس فرحات الشاعر الصادق

بقلم :

عبد الله عبد الدائم



لا ادل على أصالة العربي وعمق منازعه القومية والانسانية من شعراء المهجر .. نزحوا عن اوطانهم الحبيبة صفاراً ، ولما يحملوا منها كل زادهم من الثقافة والمعرفة ... واقبلوا على حياة غريبة جديدة ، يكدحون فيها طلباً للرزق ، ويركبون الصعب انتجاعاً للمأوى ... ولكنهم عرفوا مع هذا وذاك ان يجعلوا من جمال بلدهم الجديد مناسبة لتذكر روعة وطنهم الاصلي ، وعرفوا أن يصوغوا من عنائهم ونصبهم معاني شريفة واحاسيس انسانية فاضت شعراً محنكاً رائعاً ..

يغادر الياس فرحات « كفر شيما » وهو بعد في عمر الزهور . يحمل في عينيه صور لبنان ، ويلفلف في اذنيه انغام تربته ونهره وشجره ، ويعتصر في قلبه مآسي الشام والعروبة . لا يعرف من القريض الا زجلا كان ارتضعه من دكان الزجال الشهير أمين أيوب ومن دكان القوال الياس الفران .. ولا يملك من التجارب الا تلك المآسي السوداء التي شهدها في بلاده المغلوبة على أمرها ...

ويمضي الى المهجر ، يطوي الاميال تلو الاميال ، وينتقل من بلد الى بلد ، دون ان يبسم له الدهر ، أو تهادنه صروف الايام . . يغرب « خلف الرزق وهو مشرق » ، ويطوى الأصقاع ويداب ، و « يبيع ويشري مرغماً ويساوم » ، ويتحمل وحده « مصائب يودي بعضها بفريق » .. فلا تلين له قناة ، ولا ينسى قيثارته ، ولا يحطم كمانه ، ولا ينأى عن وطنه وعروبته ، بل يتفجر اساه ثورة ، وتتفتق غربته ووحشته انساً بالشعر وبمعاني الشعر ..

يقولون عمن اخذت القريض
ومممن تعلمت نظم الدرر
فقلت اخذت القريض صبياً
عن الطير وهي تغني السحر
وعن خطرات عليل النسيم
يمر فيشفي عليل البشر
وعن زفرات المحب الاديب
يزاحمه الموسر المحتقر
لئن كنت لم ادخل المدرسات
صغيراً ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات
وذا الدهر استاذها المعتبر

وهل تعرف ان تصوغ الشعر والفكر من الحياة الا النفوس الاصيلة الكبيرة ؟ وهل تعرف ان تتخطى حدود النسبي الضيق الشاق ، لترقي الى مطلق الشعر وسامي النظم ، الا القلوب العامرة التي تفجر من كل شيء حياة وترى في كل وجود وحياً ؟

ان من حق الياس فرحات ان يسائل مشككاً :

وهل يستقيم النظم والنثر لامرىء
يبيع ويشري مرغماً ويساوم
ومن ذا الذي يمسي على اللفظ حائماً
وفي صدره هم على القلب حائم

غير أن من حقه ان يجيب على تساؤله قائلا :

ووالله لولا فطرة ما لدفعها
سبيل لأنستنا الهجاء اللوازم

ذلك أن النفوس الأصيلة المفطورة على عظائم الاحاسيس لا تزيدها نوب الزمان الا صلابة وقوة ، وهي وحدها ال تعرف ان تصوغ الفقر والتشرد والالم دفاعاً عن حقوق الفق ونضالا في سبيل المتشردين وثورة على الآلام ..

ان الطبع الصادق يستطيع ان يولد المعاني الانساني من البشاعة والسواد والفوضى . وطبع الياس فرح يتصف اول ما يتصف بالصدق والبعد عن الزيف . لق كان صادقاً في حياته كما كان صادقاً في شعره ، يداخل قلبه وعقله اي ذماء من تمويه او تدليس . انه القائل :

واذا الكلام مهذباً لم يقترن
بالصدق كان بضاعة الثرثار
والصدق يبرز في المحافل عارياً
والكذب لا يكفيه الف ستار

وهذا الطبع الصادق هو الذى غذاه دوماً بالكرام والاباء ، اباء العربي الشامخ ، فكان غنياً عن الناس ،

أحلك أيامه ، وكان أنوفاً أنف الحرة « تجوع ولا تأكل بثدييها » :

و «هو» الذي لو مات من ظمأ
ورأى قذى في الماء لم يرد
أليس القائل عن نفسه وعن قومه :
نحن الكرام الاسخياء بمالنا
لكننا بابائنا البخلاء ؟

وهل تستطيع الحياة أن تستعبد حراً وهل تقوى صروف الدهر على مذلة العزيز ؟ ومن هذا الصدق في الطبع ومن هذا الاباء في الطبع ، جاء شعر الياس فرحات صورة صادقة عن حياته ، يعرض فيه ، في امانة واخلاص، لوحة حية امينة فيها فهرست اعماله وسجل ما بلى واصاب .

ومن هنا كنا نجد في شعره تعبيراً عن واقع قلما عني به الشعراء ، وظفرنا بوصف قلما نظفر به لدى أصحاب القريض . ظفرنا بتلك الصور الجميلة عن حياة الفقر والكد ، عن حياة العمل والعمال . فالشاعر يحدثنا عن فقره الذي ولد معه :

وليس فقري طفلا عمره سنة
لكنه توامي لما نموت نما
ويحدثنا ، ولكن ما أروع ما يحدثنا ، عن ثوبه الجديد
الهي تضن علي بثوب
وتكسو الغصون ثياب الورق
ولو كنت غصناً لجددته
متى ما بشير الربيع انطلق
ولكن ارى دون تجديده
غيوم الأسى وسيول العرق

ويحدثنا عن مركبة النقل التي جلس الى حوذيها يحمل فيها صناديق يبتغي بيعها . وهو في وصفه هذا يولد صورة رائعة من صور العمل ، يسكبها في أسلوب شعري طلي :

ومركبة للنقل راحت يجرها
حصانان محمر هزيل واشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء شدها
غرابيل ادعى للوقار وانسب
جلست الى حوذيها وورائنا
صناديق فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعاً من كل نوع يبيعها
فتى ما استحل البيع لولا التغرب

بل يصف لنا قصته مع صاحب النول الذي اشتغل عنده ، وعن اجره الذي نقص ، فيذكرنا بذلك الادب الحديث ، ادب العمال والمعامل ، الادب الذي يجعل من العمل لحنه الاول ، مادام فضيلة الانسان الاولى ..

يا صاحب النول كل
لحمي ولا تعتذر
اني الصديق الذي
مهما تسيء يغتفر
أنقصت من أجرتي
في ذا الزمان العسر
هل خفت ان اغتني
ام خفت ان تفتقر

ويلازم الصدق الشاعر في كل شيء ، فيصدق في وصف فقره كما يصدق في وصف حبه ، ونراه في غزله يروي مشاعره سافرة لا برقع فيها ، ويأبى الزيف والأقنعة ، ويدخل البيوت من أبوابها دون مواربه أو خداع . لا يخدع نفسه ولا يخدع غيره . يعري الحقيقة ، ويصف الاشياء مجردة عن « العلب المحفوظه » التي يحلها فيها الواصفون غالبا . وهل اروع واجمل من هذه الابيات يصف فيها مأساته مع غواني تلك البلاد اللائي لا يفهمن شعره :

انا قضينا كل ايام الصبا يا جارنا
في غربة طالت فقصر طولها اعمارنا
نزجي لغير الفاهمات شعورنا اشعارنا

وجاء هذا كله ان جاء شعره واضحاً يلاصق فيه اللفظ المعنى دون ان يكون بينهما بون ، ودون ان تفصلهما مسافة . وحق لهذا الشعر أن يوصف بأنه السهل الممتنع. وحق له ان يكون من الشعر السائر الذي تتناقله الافواه وتسير به الركبان ..

انه حياة منسابة رخصة ، تسيل سهوا رهوا دون ما عنت وكلفة ، وتعبر عن اعمق معانيها تعبير من ملك قياد الاشياء واطل عليها من عل ، واشرف وابصر ، فانقاد له العسير وذل الصعب .

أن شعري لصورة لحياتي
لا غموض فيه ولا تعقيد
لا كشعر يذيب قارئه المخ
ليدري من قاله ما يريد

فلا غرابة ان وجدنا شعره خمائل لا مجاهل ، على حد تعبير من قدم لديوانه ، ولا غرابة ان وجدنا عمق المعري وحكمته يأنسان الى ديباجة البحتري ووشيه الدقيق . ولا عجب ان ذكرتنا أبيات فرحات هذه بأبيات صنوه البحتري حين قال :

وبديع كأنه الزهر الضاحك
في رونق الربيع الجديد
ومعان لو فصلتها القوافي
هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركن
به غاية المراد البعيد

وهلا نرى نفس البحتري ، ورقة حاشية البحتري ، وموسيقى البحتري في كثير من قصائد الوصف التي قالها فرحات ؟ وهل صلة القربى خفية لعين او اذن في مثل قصيدة الارملة الحسناء ، أو الحمامة ، أو نسيم الصبا ، أو البلبل الصداح في القفص ؟

وقفت صباحاً على ربوة
يرصعها زهر زاهر

وللريــح فيهــا تنفس بكــر
أثـار جـواهـا هــوى باكـر

وهلا نمتاح من ديوان « الراعي » ذلك الوشي المنمنم ، الذي لم يقو عليه غير البحتري وابن الرومي ؟

وبعد ، أول الصدق ، الصدق مع الأم الكبرى ، مع الوطن . واول الصراحة ، قولة الحق في معركة القومية ، والنضال في سبيلها . وهكذا كان الشاعر فرحات . انه مدين في شعره لوطنه قبل كل شيء : مدين فيه لربى ذلك الوطن ، وللحنين الى ذلك الوطن بعد فراقه . ومن هنا استطاع ان يصل بين الوجد لزهره والحقد على أعدائه، وان يمزج بين عشقه وعشق جماله وبين ما تردى اليه بايدي ابنائه . يسحره ما فيه ، ويجذبه حسنه ، ولكنه ما يلبث حتى ينفر نعرة الليث ، حين يرى ما اقترف جلادوه من اثام وما ارتكبه بعض ابنائه من جرائم .

ان حال وطنه هذه هي التي انطقته بالشعر :

افكـان يمكنني السكوت ولـي
وطــن اعز علـي مــن ولـدي
وانـا ابنــه الفيـه منطرحــاً
بـين الذئاب مضعضـع الجلــد

كلا ، انه لا بد صانع من قوافيه سناناً حادة يرمي بها أعداءه ، ولا بد مجند يراعه في سبيل نصرته والنضال من اجل حريته ، ولا بد مفتت قلبه حتى يرى يومه الباسم .

ويخوض المعركة ، ويخادن فيها الصدق والصراحة شأنه دائما ، ويلقى العنت من بعض الناس ، فما يهون ولا يلين :

الوحــدة الكبرى لنــا أمنيــة
حاشا لطلاب العلا أن ييأسوا

ويسير في سبل الصراحة حتى يبلغ وطنه أشده ، على حد قوله ، ولا يبالي قل عداته « ام اصبحوا كالرمل عــدداً »

أننــا ماضــون في منهجنــا
قلـق الخوان أو مـات العــداة
اهــون النــاس علينـا أعبــد
يبـذرون الشر فينــا وغــلاة

وتمتليء قصائده باللوعة على وطنه وبالأمل في مستقبله . وينتصر فيها للمناضلين في سبيل العروبة ويحارب دون هوادة كل ممار فيها أو شكاك .

بل يبلغ به حرصه على الكفاح في سبيل حرية امته وخلاصها من مستعمريها ومن ادوائها الاجتماعية وغيرها ، أن ينكر على رفيق جهاده المرحوم شفيق عماد ميتته المبكرة :

يـا صـديقي شفيــق
اختصــرت الطــريق
لــم تنجـل المعركــة
للعصبــة المدركــة
فـلا استقـل الوطــن
ولا امنــا المحــن

*

شفيــق يـا ذا الــوداد
أفــق فماذا الـرقـاد
أفي احتــدام الجهــاد
تنام هــذا المنـام ؟

ويثور لكل حادث في دنيا العرب ، ويردد شعره صدى كل مايطوف بعالم العروبة . فيثور ضد من خان معركة فلسطين ، ويثور ضد من ارادوا أن يحيوا فيها أمواتاً ويميتوا احياءها ، ويثور على من يشكك في شأن العرب ، ويضج من هذه الدول الهزيلة التي انقسمت اليها امة العرب والتي :

صارت جســوماً كالضرائر بعدما
كــانت لجسم واحــد اعضاء

ويحمل على الحكام والملوك الخونة :

ملوك ظنناهم صقـوراً وعندمــا
غزينا راينـا صاحب التـاج هدهدا
أباحوا لأجلاف اليهود جبانــة
بلاداً أغار المجد فيهـا وانجــدا

ولكنه لايداخله من هذا كله اليأس ، بل يطل على مستقبل أمته اطلالة المؤمن بها الواثق من قدرتها على ان تنفض عن جسمها غلالة الكرى ، وتنضو عن اهابها سنة النوم ، ويكاد يرهص من سنوات بعيدة تقضت ، بظهور القائد الملهم الذي يجمع شمل العرب ، بظهور بطل العروبة جمال عبد الناصر ، يوحد العرب ولكن بذراعه لا بتاجه :

فياليت شعـري هـل نرى تـاج يعرب
على راس موهــوب من العرب ملهــم
يؤلفــه ممــا تشتت قبلــه
وينظـم فيــه الـدر غــير المنظم

بل يكاد يقطع الزمن ويستبق الاحداث ، فيوجه الى سفاحي العراق هذه الابيات :

فان قتيـل الظلم يقتل خصمـه
بذي شطب عاص على الدهر لهزم
لقـد قتل الباغي علياً ولم يـزل
حسـام علي في لهاة ابن ملجم
ومذ صلبت عيسى اليهود فانهـا
تقـوم بأعبــاء الصليب وترتمي

ومن وراء هذا القتام كله ، يشهد الفجر العربي الكبير ، ويغني نشيد الوحدة العربية الكبرى :

من سفح لبنــان الى سـطح اليمن
قد عمت البشــرى سـهولا وفنن
وامتـدت الافراح مـن بـكر الـزمن
مصر الى
ام العـلى

البقيـة على صفحـة ٩

عيد الجلاء

عيد الجلاء لكل عيد عيد … تجديده لجهادنا تجديد
طربت صوارم يعرب لقدومه … وتغردت فصليلها تغريد
ذكرت وقائع في الحواضر رددت … أصداءهن مع الرياح البيد
لولا طلوع البيض من أغمادها … كالزهر ما انجلت الليالي السود
لولا المطارق ما التوت وتحطمت … للظالمين سلاسل وقيود
ازف الحساب فكل قول صادر … عنهم وعن أبواقهم مردود
ازف الحساب فلا مقال لقائل … الا الذي سيقوله البارود
ازف الحساب فلا نسيئة بعدما … كذبت مواثق جمة ووعود
الصبر محمود اذا احترم الحمى … فاذا استبيح فغيره المحمود
والحق تفقده السياسة والظبى … تلقاءه فهو الضائع الموجود
يا أيها العيد السعيد تحية … من شاعر يلقاك وهو سعيد
متفائل يهوى العروبة قلبه … ورجاؤه برجالها معقود
في صدره منها عواصف كلما … زادت عليها الحادثات تزيد
هذي بروق المجد لاح وميضها … فتهيأوا ستلي البروق رعود
والسيل مندفع ستسقط دونه … جدر بنين لصده وسدود
ووليمة النصر المطل من الذرى … تحت السيوف خوانها ممدود
وثماره الحمراء ليس يذوقها … الا جريء الأصفرين شديد
ولنحن أولى أن يكون نصيبنا … حلواؤها والكأس والعنقود
فسنأخذ الحق السليب مضاعفاً … والسيف قاض والرقاب شهود
وستعلم الدنيا ويعلم أهلها … كيف الأسود عن العرين تذود
سيرى العدو الكون اصبح غيرة … فالأرض نار والسماء حديد
والجو بينهما تكاد طيوره … تمشيه فهو من الغبار صعيد
كن شاهداً يا عيد أن دماءنا … لبلادنا كن شاهداً يا عيد
قسماً بأبطال العروبة اننا … لسنا عن النهج السوي نحيد
قسماً بهم أن العروبة ديننا … ما همنا التثليث والتوحيد
قسماً بهم ان (اللواء واخته) … منا وتين نابض ووريد
قسماً بهم ان الجزائر عندنا … كالشام نهتف باسمها ونشيد
فمن المضيق الى الخليج يضمنا … وطن على رغم العداة وحيد
ستزول الوان المناطق كلها … وحواجز منصوبة وحدود
ومع الدخيل المستبد جماعة … منا تتيه بجهلها وتسود
تحيا بعصر النور باكية على … عصر اذل النوق فيه ثمود
من لا يبيد عماية في قلبه … وسخافة في راسه سيبيد !
ما بال من حسبوا كباراً أصبحوا … وجديدهم لعتيقهم ترديد
ما بالهم يتقيأون حديثهم … عنا كما يتقيأ المعمود
يتآمرون على الشعوب كأنها … نعم موسمة لهم وعبيد
يعدون أو يتوعدون وشأنها … عن شأنهم في الحالتين بعيد
لا وعدهم يحيي لها املا ولا … يقضي على امل لها تهديد
هيهات فالمسلوب منه يريد ما … غير الذي يحمي اللصوص يريد
وضح الخداع وبان فالتز ـ … ـمير والتخدير لاستعمارهم تمهيد
نزلت بنا النكبات من تدبيرهم … العار والتقتيل والتشريد
غصبت منازلنا وكم من زاعم … في الناس أن الغاصبين يهود
هذي كلاب الصيد كيف نذبها … ونجل صياداً بهن يصيد
منهومة عجفاء أغراها بنا … طمع الولي وحظها المنكود
الموت عاقبة الغرور فبشروا … صهيون أن بقاءها محدود
قذفت الى نار الجحيم بنفسها … ان الأشاعب للجحيم وقود
ستظل تمسك قلبها ما دام في … أرض الكنانة قادة وجنود
سيظل طيف الموت نصب عيونها … ما ظل يذكر في الشآم شهيد
ستضيع في لج العواصف جملة … ويضيع في تدعيمها المجهود
ستموت حاملة صليب ذنوبها … والحبل حول خناقها مشدود
لا يأس في عيد الجلاء لمؤمن … وكما اتت آلامنا ستعود

الياس فرحات

النجم فوق الغابة

قصة بقلم : زكريا تامر

يرحل النهار ساحباً خلفه شمسه الميتة ببطء يثير سأم نزار المضطجع على ظهره فوق سرير حديدي ضيق .. فأشواقه تواقة لرؤية سماء كبيرة سوداء مرصعة بنجوم متلألأة لا عدد لها ، وقد حاول مرة ان يعرف عددها فمنعته أمه من احصائها قائلة :

ــ من يعرف عدد النجوم .. يموت .

ويتململ نزار تحت اللحاف الذي يغطي نصف جسمه ، ويتطلع بعينين نصف مغمضتين الى قرد صغير محنط ، يجلس القرفصاء فوق سطح الطاولة القريبة .. مادآ ذراعيه الى الامام ببلاهة ومن عينيه تطل نظرة ماكرة ساذجة في آن واحد .

ويبتسم نزار بوهن اذ تذكر كلمات غسان اخيه الكبير حينما اهداه ذلك القرد قبل ايام ، فقد قال له :

ــ هيا يانزار .. تخلص من مرضك بسرعة .. عيد ميلادك بعد شهرين .. عندئذ ستكون هديتي لك دراجة .. دراجة ليست صغيرة .. بل دراجة كبيرة لأنك ستصبح بعد شهرين رجلا كبيراً .. سيصير عمرك سبع سنوات .. ما رايك بهذا القرد الظريف .. هل اعجبك ؟ انه سيسليك اكثر من سميرة .

فصاحت آنذاك الاخت الشابة متصنعة الغضب :

ــ اسكت .. كيف تقارن اختك بقرد .. لسانك طويل جداً ويحتاج الى قطع جزء منه .

ثم تابعت بعد لحظة صمت موجهة كلامها الى نزار :

ــ هل تعرف اسم قردك ؟

فأجاب نزار بتردد بينما ترمق عيناه القرد بفضول :

ــ اسمه .. اسمه .. اسمه لوجي .

ــ ماهذا الاسم الغريب ؟

فقال نزار بثقة : هذا اسمه الحقيقي .

ونشأت منذ تلك اللحظة صداقة قوية بينه وبين القرد ، وقال نزار للقرد عندما اصبحا لوحدهما في الغرفة :

ــ لوجي .. امي لا تحبني .. امي ماتت .. امي الآن نجمة .

فقال القرد : لا تحزن يانزار .. كل الأمهات قاسيات .

وهكذا اعتاد الاثنان على الثرثرة مع بعض .

وتتسع ابتسامة نزار بينما هو مستمر في التحديق بوجه القرد المحنط القابع فوق الطاولة ، وترتعش أهدابه بوداعة قبل ان يقول متسائلا :

ــ لوجي .. من اين أتيت .. اليس لك بيت ؟

فقال القرد الصغير بصوت ارعشه التأثر :

ــ بيتي في الغابات البعيدة .. انا جئت من هناك .

قال نزار : لوجي ..! انا لا اعرف الغابات .

فتنهد القرد ثم قال :

ــ الغابات جميلة جداً .. انها كبيرة جداً .. هناك لا صقيع ولا حرارة شديدة .. الأشجار هناك طويلة جداً حتى ان رؤوسها تتحدث ليلا مع النجوم .

ــ هل يوجد في الغابات نجوم ؟

ــ النجوم هناك ليست متعجرفة خرساء .. نجوم الغابات لطيفة تحب التحدث مع الأطفال .. واحياناً عندما تتعب النجوم تنزل من عليائها لتنام على فراش من ورق الشجر .

ــ لوجي .. خذني الى غابة .

ــ سنهرب معاً في أحد الايام .

ولاذ الاثنان بالصمت اذ دخل الى الغرفة في تلك اللحظة سميرة وغسان فاستقبلهما نزار بابتسامة عريضة .

وقال غسان وهو يجلس على مقعد خشبي قريب من السرير :

ــ كيف حالك اليوم يا نزار .. أنت في تحسن .. هذا عظيم .. قل لي .. هل ضايقتك سميرة ؟

فصاحت سميرة : غسان .. الا تكف عن التحرش بي .. هل تحب الشجار الى هذا الحد .

ويقول نزار وهو يشير بأصبعه الى اكورديون ملقى على الاريكة الطويلة :

ــ اعزف لي على الأكورديون ياغسان .

واغمض نزار عينيه حينما بدأ اخوه بالعزف .. انساب لحن عذب مترجرج كمياه نهر رحلته طويلة .. فغادر نزار الغرفة رغم ان جسده ظل تحت اغطية السرير .. انه الآن في بساتين خضراء .. يمشي على مهل .. تقول له وردة حمراء :

ــ يا ولد يا ولد .. انا عطشى .

ــ اشربي من النهر القريب .

ــ انا عطشى يا ولد .. سأشرب من دمك .

يذعر نزار .. يركض مبتعداً عن مكان الوردة .. يصل

الى قصر ضخم شاهق الاسوار .. يطرق بابه الحديدي الكبير .. افتحوا افتحوا .. انا تعبان .. ولكن الباب يظل مقفلا .. فيضطر نزار لأن يعاود المشي مرة ثانية .. مر امام شجرة تفاح .. فأحنت له راسها بوقار — كل اشجار التفاح مهذبات — وقالت :

— اني ادعوك يا نزار الى تناول شيء من ثماري .

فقال نزار وقد أفرحته كلماتها :

— انت جميلة جداً وسخية جداً ياشجرة التفاح .. اشكرك .. انا لست جائعاً .

قالت شجرة التفاح : الى اين انت ذاهب يا نزار ؟

قال نزار بصوت متهدج وديع :

— اني افتش عن امي .. أمي في الليل نجمة .. وفي النهار تهبط الى الارض لتنام .

قالت شجرة التفاح : ان عثرت في طريقك على البلبل فقل له بأن صديقته شجرة التفاح حزينة وبحاجة الى غنائه .. هل صوتك جميل يا نزار ؟ .. غن لي .. انا حزينة .

فأخذ نزار يغني مردداً : أمي أمي أمي .

فقاطعته شجرة التفاح متسائلة بشيء من الكآبة :

— اتحب امك كثيراً يا نزار ؟

— انا احبها كثيراً .. ولكنها هي لا تحبني فقد ماتت قبل اشهر وتركتني وحدي .

ويتوقف غسان في تلك اللحظة عن العزف على الاكورديون ، ويهمس مخاطباً اخته الواجمة بلهجة اسيانة :

— نام نزار .. هلمي .. نغادر الغرفة دون ضجة .

فتطلعت سميرة الى وجه غسان بعينين حانيتين ، وودت لو تقول له :

— وجهك يا اخي يتحول الى قطعة من الحجر الحزين عندما تعزف على الاكورديون .. لا فائدة من العيش مع الذكريات .. انس نهلة صديقتي التي تزوجها غيرك .

وسمعته يقول بضيق : ماذا تنتظرين يا سميرة ؟

فاتجهت سميرة نحو الطاولة ، وتناولت القرد الصغير المحنط ، فسألها غسان :

— لماذا أخذته .. اتركيه في مكانه .

— هذا القرد يضايقني .. واعتقد انه يترك اثراً سيئاً على صحة نزار .. كثيراً ما ادخل الغرفة فاجد نزار يحدث القرد بصوت مرتفع .. سآخذه وارميه في السقيفة .

ولم يمض وقت طويل حتى سمعت سميرة صياحاً باكياً ينبعث من غرفة نزار ، فأسرعت اليها فوجدت نزاراً يبكي بحرقة .

— ما بك ؟

فأشار الى الطاولة ذات السطح الخاوي وقال :

— لوجي سافر الى الغابات .. لم يأخذني معه .. لم يأخذني معه .

فقالت سميرة محاولة تهدئته :

— لا تبك .. لا تبك .. القرود اخلاقها سيئة .

— اريد ان اذهب الى الغابات .

— عندما تشفى من مرضك سأذهب معك الى الغابات .

— لن نخبر أحداً .. سنذهب وحدنا .

فابتسمت الاخت ، وقالت وهي تربت على شعره بحنو :

— سنذهب وحدنا .

ولم تكد تستدير نحو باب الغرفة حتى تجمدت في مكانها مرتجفة حينما سمعت نزار يجهش بالبكاء صارخاً بمرارة :

— أريد أمي أريد أمي .

دمشق — زكريا تامر

بقية المنشور على الصفحة (٦)

بغداد تستهوي المغاني والفلا
النيل والاردن والعاصي لنا
والرافدان العز فيها والغنى
تمنع حتى الطير عنها ان دنا
منها ولم
ينشر علم
للسلم انا امة ترعى الذمم

هذا هو الياس فرحات الذي تكرمه الجمهورية العربية المتحدة . انه شاعر الصدق ، شاعر العمل والحرمان ، شاعر النضال والمعركة ، شاعر الوحدة الكبرى . وعسير ان نلم في هذه العجالة بسائر جوانب شعره ، فهي اغنى من أن توفيها هذه الكلمة بعض حقها . وان ننس لاننسى رباعياته ، حيث الحكمة العميقة المنظومة في اسلوب لين شفاف ، ولاننسى موشحاته ولاننسى تجديده في العروض والقافية . ولا عجب فالصدق الذي صدر عنه قمين بأن يصهر كل شيء وبأن تنقاد له الهياكل وتتحطم امام حرارته القوالب والسدود .

لقد حن الشاعر دوماً الى بلده ودياره ، وغناها وبكاها وناضل معها . وكم خشي الا يلقاها :

دار العروبة دار الحب والغزل
هاجرت منك وقلبي فيك لم يزل
هلا مننت بلقيا استرد بها
فجر الشباب فشمس العمر في الطفل

واليوم يعود اليها ، يعود الى اخوان له طالما تاقوا الى رؤية العينين اللتين نظمتا لآلىء شعره والقلب الذي فاض بمعانيه . وتضم الجمهورية العربية المتحدة اليها قلباً طالما نبض لها من بعد وطالما ارتقب ان يجد مستقره بين ضلوعها ؟ انها لسعيدة ان تلقاه ، كما لقيت رفيقه الكبير الشاعر القروي ، وأن يعود اليها بعد ان حققت جانباً من أمنياتها ، وبعد أن حملت سيف الحق والصدق الذي حملاه طويلا .

عبد الله عبد الدائم

فرحات... أخي في المهجر

بقلم : نظير زيتون

كلمة المغتربين ، في تكريم شاعرهم فرحات ، وما عسى أن تكون كلمة المغتربين ، غير حبات من بخور الوفاء والازدهار ، تضوع في الفضاء وتضمخ القبة الزرقاء .

ما عسى ان تكون غير صلاة ودعاء . صلاة نرفعها الى السماء ، شكرا لله على فيض الآلاء ، وعلى نعماء الاستقلال والوحدة العربية الزهراء ، صلاة تطلقها القلوب والحناجر، وتنبعث من الضمائر والسرائر . صلاة نرددها على المحاريب والهياكل والمنابر . انا شهدنا البعث . انا شهدنا البعث بعبد الناصر ..

وانا شهدنا الفجر ، بالقائد الملهم الثائر ، وانا شهدنا جحافل القادسية واليرموك وحطين والقناة ، بجيشنا العربي الباسل الظافر .

وانا شهدنا انطلاقه المارد القاهر . ينفخ في صور الحياة ، فتهتز الدراري السواهر . متسائلات عن الحدث الرائع الباهر .

وانا شهدنا صانع التاريخ يمحو ما خطه القضاء العاثر. ويذهب الصفحات بالمآثر والمفاخر . ويرصعها بالفرائد والجواهر . فبوركت يد تلملم النجوم الزواهر ، وترشها نورا في الابصار والبصائر . وتجنحها مجدا لامه عريقة ارادت انبعث الدافق الهادر ، تصوغه تاجاً على راس كل عربي مؤمن ثائر ، وترميه شصاً في شدق كل متآمر وماكر ، وساحر وفاجر .

كلمه المغتربين ! وما عسى أن تكون كلمة المغتربين ، والمهرجان مهرجان شاعر المهجر ، غير حنين كوثري . وغير وجد عبهري ، وغير زهو عبقري . ما عسى أن تكون كلمه المغتربين غير انتفاضه العزه والكبرياء. بالوطن العربي الوضاء والام المشبل الشماء . والدوحه الباسقه الهدباء . دوحة العروبة الشامخة الأفياء . عرين الليوث والظباء . وينبوع البطولة والمضاء . ورفرف الوحي والانبياء ، ومهد الحرف والهجاء . ومنتجع الشعر والحكمة والرواء ، وشرعة العدل والاحسان والاخاء .

وما عسى ان تكون كلمة المغتربين ، وتكريم شاعرهم تكريم لهم ، غير شموع متهللات وضيئات معتدلات . يعربيات وفيات ابيات . جناهن الحب من بنات الحنايا ، لا من بنات الخلايا . واتخذت من صهوات الاثير مطايا . وقد أبت عليهن شم المزايا . وعراب السجايا ، الا أن يرسلن التحايا . هتافاً مجلجلا مدوياً رفاف الثنايا هتافاً بالامة العربية التي ايقظت الزمن ، وقد كان يغط نائماً في أجحاره وأوجاره .

هتافاً بالامة العربية التي نفضت عن الفكر عشاوة جموده وتهتاره . وحطمت من انياره ، وحررت من أساره فتألق قبساً الاهياً يزحزح عن الكون حجاب أسراره ويرتاد اغوار المنظور وأحشاء غير المنظور في غزواته واسفاره . وانتفاضات انواره . واذا العقل العربي ينبوع الاشراق في مداره . وسيد الابداع في تسياره . وكتاب الله في قراره .

هتافاً بالامه العربية التي خلعت على التاريخ حللا باذخة ضامخة . ووسامة ساطعة صارخه . وحلى زاهية شامخة ، يوم كان التاريخ مهزولا عرياناً يتعثر باطماره . متبهنساً يتنزى بأنيابه واظفاره .

هتافاً بالامة العربيه التي كانت للانسانية ظئراً . وللعلى صدراً . وللعلم بحراً . وللعدل فجرا . وللمكرمات زهراً وعطراً . وللحياة خمراً وسحراً . ولله تسبيحة وشعرا . وسيفاً ونصرا . ومحبة وبرا ....

نعم أيها السادة ، ما عسى ان تكون كلمة المغتربين في مهرجان الشاعر المهجري الذي شدا لامته حنونا من وراء البحار وناجاها مفتوناً في الآصال والاسحار . وعاطاها نغوماً كؤوس الوفاء والذمار . وصاغ لها عقوداً من الشهبان تزري بالدر والنضار . وناضل في سبيلها بتارا واي بتار . ومغوارا واي مغوار . واستوحاها في شعره الزهار . فاذا الفريض زارة وفخار . وغناء واعصار . وعقيدة وشعار . واذا القوافي لحن متسعر الاوتار . وخيال مخضوضر الاقمار . متفاوح الازهار . مترنح الاطيار . نشوان المزمار ....

اجل ، ما عسى ان تكون كلمة المغتربين في هذا الموقف الجليل الحفيل ، غير ذكريات نضرات عبقات . سطع في الحنايا شذاها . وتردد في الجوانح صداها . وناجج في القلب هواها ، وتهلل في الخاطر نجواها ، وتسامى بالنضال معناها ومرماها ومجناها ...

***

ولنرجع القهقرى خمسين او ستين عاما يوم كان المهاجرون من سورية ولبنان قطعاناً بشرية يسوقهم السماسرة في بيروت الى البواخر الاجنبية ، يهربونهم تارة ، ويستشفعون لهم طوراً . ويسترخصون مرة .

وكانت موجات الهجرة تتعاقب وتتلاطم ، فلا يمر أسبوع حتى تطرح البواخر على شطآن العالم الجديد

شرقاً وغرباً شحناتها البشرية المستوردة نفسها من شرقي المتوسط ، وكأنها فسائل بشرية اقتلعها القدر من (المشتل العربي) وحملها الى أقاصي العالم ، يستنبتها في ارض غير أرضها ، وتحت سماء غير سمائها . وبالهفة القلب . يا لهفة قلب تلفت الى أولئك المهاجرين المغامرين وقد أدركت البواخر أسياف العالم الجديد ، وانتزعتهم من أجوافها وتركتهم على اليابسة ، وفي الثغور بسمات واجفات ، وفي الافواه كلمات مغمغمات . وفي العيون عبرات مشرقات . وفي الصدور عزائم ماضيات . وهمم متعاليات .

وكان أولئك الرواد الماهدون في معظمهم أميين واشباه أميين ، واشباه متعلمين ، وكلهم قبلتهم اميركة . اما اختيار البلدان والمدن ، فمتروك امره للسماسرة وشركات الملاحة ، وبالتالي كانت الاقدار تتحكم في مصير هؤلاء المهاجرين ، فتسيرهم كما تشاء لا كما يشاؤون ، ماداموا يجهلون كل شيء ، من جغرافية اميركة الطبيعية والسياسية ، الى لغاتها وشرائعها وعاداتها . وكل ما يعرفون انها بلاد تدر لبناً وعسلاً وذهباً ، وان استدرت عرقاً ودماً ونصباً .

فالهجرة السورية واللبنانية الى العالم الجديد ، كانت مجازفة خارقة محفوفة بكل ما يروع القلوب . لا اعرف في كل ما طالعته من أوابد المجازفات الجماعية ما يعادل هذه الهجرة العربية الى العالم الجديد في العهد العثماني . انها اسطورة عملاقية لم تسجل تواريخ الشعوب في كل احداثها ، اسطورة أروع وادعى الى الدهشة والاعجاب من هذه الاسطورة المجنحة التي تقمصها المغترب العربي . المغترب الشجاع الألمعي ، الذي طار جادفاً مقصوص الجناح ، وغزا ظافراً ولا رماح ، وفتح بعصاميته ومضاء عزمه . وحصانة خلقه وحزمه . وطموحه وحلمه . وبجلد جليد على احتمال الشدائد المرهقات . ومكافحة العناصر المستعديات . نعم ، فتح وهو الفقير المهزول مادة ويدا . أبدع الفتوحات العمرانية والحضارية ، وشيد في مهاجره النائية حيث لا حكومة ترعاه وترافده . ولا مؤسسات وشركات تؤازره وتسانده . وتشق له طريق النجاح وتعاضده . شيد في مهاجره القصية ، وهو النكرة الاعزل ، الا من صدر وقاد ، وزند شداد ، وعزم مداد ، دولة رفيعة العماد . باذخة الامجاد . راسخة متعالية كالاطواد . دولة تعفو على اماني المتمني . ومعارج المتغني ، دولة زهراء شماء تشرئب اليها الاعناق اعجاباً وتعظيماً . وتسجد الابصار تكريماً وتفخيماً ، وحسبها اليوم مجداً انها امتداد لوحدتنا عبر البحار وشراع لجمهوريتنا . ومعجزة تاريخية من معجزات عصاميتنا . وآية رائعة من آيات بنائنا وعبقريتنا .

انها ايها السادة دولة العروبة التي شيدها أولئك الرواد الماهدون ، الاميون واشباه الاميين واشباه المتعلمين الذين تحدر من اصلابهم ويا للفخر ، الوف والوف من اعلام العلم والثقافة والعرفان . والسياسة والعمران ونباهة الشأن . انها دولة العروبة التي اختالت راياتها خفاقة فوق الجبال والسهول ، والدساكر والحقول . وارتمت ظلالها على كل قرية ومدينة وعاصمة . حتى المجاهل الساشعة الشموس التي استعصت على الانسان والعمران ، رادها ذلك المهاجر العربي الشجاع وذللها وراضها . وهدهدها بحنانه الريان ، وحمل اليها رسالة الحياة والعرفان . وكأن في جوانحه ضراماً من صقر قريش ولألاء من ملوك غسان ....

* * *

واسمعوا ايها السيدات والسادة هذه القصة التي رواها الرئيس الاميركاني تيودور روزفلت وقد كان مغرماً بالصيد والكشف عن المجاهل ، فبعد انتهاء رئاسته في عام ١٩٠٩ نظم رحلة الى الادغال البرازيلية البكر واوغل فيها يقتنص ضواري السبع وجوارح الطير ، وعندما توسط هذه الغابات العذراء العطشاء ، شاقه ان يدون على لوحة معدنية خبر وصوله اليها . وبعد ما علق الصفيحة التذكارية على شجرة ضخمة ، وقد ترنحت أعطافه زهوا وكبرياء ، اذ ارتاد أرضاً لم تطأها قبله قدم بشرية ، اذا أحد أعوانه يدفع اليه صفحات من جريدة غريبة الحروف عثر عليها بين الاعشاب الكثيفة . فذهل روزفلت عندما رآها وبعدما تأملها ودقق فيها عرف من بعض الحروف اللاتينية انها جريدة عربية تطبع في سان باولو البرازيل ، اسمها (الافكار) التي كان يصدرها المرحوم الدكتور سعيد ابو جمرة ...

وعندئذ هز الرئيس روزفلت راسه حزيناً وامر بانتزاع الصفيحة التذكارية قائلا : ان (التوركو) سبقنا الى هذه المجاهل واضاع علينا مجد السبق والاكتشاف.. وجدير بنا أن نحيي فيه البطولة والطموح ....

والتوركو ، أيها السادة ، هو اللقب الذي كان خصومنا الاوربيون ينبزون به ابناء العرب المهاجرين . كانوا يطلقون عليهم هذا اللقب البغيض من باب الازدراء والتحقير . طرق مسامعهم للمرة الاولى على متون البواخر التي ركبوها الى العالم الجديد .

كان المهاجرون السوريون واللبنانيون يقضون أيام السفر حول أسرتهم في أبهاء جوفية واسعة او على ظهر الباخرة يستقبلون الشمس أو يودعونها ، وفي الليل يناجون القمر ويمرحون ، وقد ارسل اشعته الأنيسة تملأ الارض جمالا وجلالا ، والنفوس دفئاً وحناناً .

وكان الشعور بألم الفراق والغربة وارتياد المجهول مشتركاً بينهم . الذكريات تنطلق تنهدات وتجري عبرات مرتعشات ، في عيون ذاهلات حالمات ، وتستعر زفرات مترنحات متاودات ، ما رأيت أحنى على الحب من ضلوع متلهفات ، على زغلول خفاق قلق النبضات يرسل زقزقته أنفاساً ملتهبات ، وخلجات متوسلات . وعندئذ ، في زحمة الانفعالات والتجربات ، يتأوه القصب. وتنتفض أوتار العود ، ويشهق الكمان ، وتهمهم الدربكة ، ويدندن الزغلول المرتعش ، فاذا الميجانا واذا العتابا ، واذا الموال ، وسائر الأغاني الشعبية الاصيلة .

وكان المهاجرون الاجانب من أبناء الجنوب الاوروبي ،

ينظرون اليهم ساخرين هازئين ، ثم يصرخون مستفزين : توركو .. توركو ....

ولم يكن هذا (التوركو) جباناً فينام على ضيم . هرب من التوركو في بلاده فتبعه هذا التوركو بأفواه المتعصبين الاروبيين .

وكان بدهياً بعد هذا أن تنشب المعركة بين المهاجرين العرب والمهاجرين الاروبيين ويا لله ما اصدق صوت العرق والارومة ، لقد نسي أبناء العرب تكتلاتهم الاقليمية والبلدية والطائفية وهبوا صفاً واحدا يدفعون التحرش الاجنبي وينافحون عن كرامتهم القومية .

لكل مهاجر من القدامى قصص وأحاديث حول هذه المشاجرات العنصرية التي كانت تتكرر بصورة مستمرة في أغلب البواخر ، فما انقطعت الا بعد الحرب العالمية الاولى .

***

وشكراً أيها السيدات والسادة لأولئك الاروبيين المتعصبين . لقد علمونا نحن المغتربين عندما كان الشرق يتخبط في دياجير التعصبات الطائفية ، لقد علمونا الحروف الاولى في أبجدية القومية ....

ثم تلقينا في مهاجرنا الاميركية ابلغ الدروس في الوطنية وحب الوطن والدفاع عن كرامة الوطن . تعلمنا أن الاوطان لا تبنى على اقطاعية الدمى والاوثان ، ولا على الطائفية والتكتلات المذهبية ، وانما تبنى على القومية ، وابجدية المساواة الاخوية . وعلى البطولات المثالية ، والانطلاقات العلمية والاجتماعية والانسانية .

كانوا يحتفلون بأعيادهم الوطنية ، ويستعرضون معاركهم الاستقلالية وانتصاراتهم . ويتغنون بشهدائهم وعظمائهم وقادتهم ، وكنا أيها السادة نسير في مواكبهم ونصغي الى أهازيجهم وننصت لخطبائهم ، وقد استولى علينا شعور عميق مشبوب . شعور باليتم الوطني ، باليتم الجامح الظمآن ، وبالحرمان اللافح العريان . ولا اقول انه كان ينتابنا شعور الحسد . كلا . فقد كانت صدورنا عامرة بالايمان ، حافلة بالرؤى الثائرة الالحان ، والآمال المتغضنة الاغصان ، وكأن في رباها نفحة من الجنان وبشرى تغمر الوجدان ....

لنا وطن جميل نبيل ، في تاريخ مشرق أثيل ، ولكنه رازح تحت النير العثماني ، ولنا دوحة هدباء شماء ، ولكنها مجزأة مبعثرة عصفت بها ريح الاستعمار والتخاذل والبغضاء ، وهذا اللقب البغيض — توركو — ينبزوننا به عن قصد أو جهل ، لا يزال يتبعنا ويتعقبنا ويعكس ظله الاسود على محاسننا ومفاخرنا ونحن في اقاصي الارض ....

وكانت معاركنا المادية والمعنوية شاقة عسيرة قاسية ، بيد ان معركتنا المعنوية ، معركة الكرامة كانت هدفنا الارفع . علينا أن نعرف الشعوب الاميركية بحقيقتنا وبوطننا الاصيل ، وبأمتنا العربية التي أنشأت أزهى الحضارات في الاندلس والبرتغال اللتين يمت اليهما ابناء اميركة اللاتينية بأقوى الوشائج السلالية واللغوية والثقافية . بلى وذهبنا الى ابعد من هذا .... سمعنا صوت الدم يهمس في مسامعنا تارة ومسامعهم اخرى ، ورأى كلانا وجه صاحبه في وجهه . ومناقبه في مناقبه، وبطولته في بطولته .

سمعنا خمسة آلاف لفظة عربية تأصلت جذورها في معاجمهم ودرجت على السنتهم .

سمعنا الحدو العربي في (الفادو) البرتغالي والبرازيلي ، وتنغيم زرياب الاندلسي في التانغو الارجنتيني .

ورأينا الجوشن العربي في فروسية (الغاووشو) البرازيلي والارجنتيني .

وأنصتنا الى صوت التاريخ يهيب بنا ويقول : الا انكما نسيبان ، فما جدود هؤلاء الابناء الاميركيين ، الا من بقايا العرب الاندلسيين الذين صنعوا الحياة والعمران يوم كانت أميركة قارة خضراء بكماء . وخريدة عذراء لم تمسها يد بناء وطلاء .

نعم من بقايا العرب الاندلسيين الذين أطلقوا على المدن التي انشأوها اسماء مدنهم الاندلسية العربية ، لا اسماء المدن الاسبانية .

نعم من بقايا العرب الاندلسيين الذين زور ديوان التفتيش اسماءهم وازياءهم ، ولكنه لم يستطع أن يزور دماءهم ، فرأى ابناؤه في المغترب العربي تلك الآصرة الحنانة النفاحة التي جمعت بين النسيبين المتباعدين ، فكان الحب وكان الاخلاص وكان للمغترب العربي منزلته العليا التي لا يدانيه فيها مغترب اجنبي آخر .

غير ان جوالينا التي وقفت صفاً واحداً في معركة الكرامة ، لم تلبث أن انشقت على نفسها في تيارات سياسية عنيفة دلت على تفاوت المفهومات الوطنية والاهداف القومية . فكانت المعارك الداخلية حامية الوطيس . فريق متعثمن ، وفريق انتدابي اتكالي ، وكلاهما عالج القضية الوطنية على ضوء الاقليمية والطائفية وشعوبية المدارس الاجنبية .... وفريق سبق الزمن فنادى بانفصال سورية الطبيعية واستقلالها ، قبل أن يبرز على مسرح السياسة الدولية ما يسمى قضية سورية . كما نادى بالدولة العربية التي كانت حلماً يتراءى من وراء الغيب لأصحاب الرسالات القومية ، لأولئك الانبياء الذين يرون ببصائرهم النيرة ما لا تراه العينان . ويحسون ما لا يحسه الا الوجدان ، والالهام الريان ....

ومن صميم هذا السعير السياسي النضالي . من صميم هذه المعارك الوطنية ، ومن صلب هذا اللهب الطهور . من اعماق السنة النار الحمراء العذراء التي نادت بسورية المستقلة ، وبالدولة العربية . من ضرام هذا الجمر المقدس الذي تساقط على رؤوس الاحرار العرب برداً وسلاماً . واكليلا من الغار ووساماً . انبثق الشاعر فرحات . كما تنبثق الشرارات في محاجر العاصفة ، والرعد في اصطراع الغيوم ، والزلزال في قهقهة الارض . والفارس المجنح في رغادة الاسطورة الحالمة .....

بلى ، وكأن الشاعر فرحات كان على موعد مع الأهباء في زمجرة الزوبعة ، ومع عمود النار في فوهة البركان . ومع شعاع الفجر في ولادة الشمس ، ومع انفاس الربيع في فرحة الطبيعة . ونشوة الطبيعة وعطاء الطبيعة العبقري .

***

برز الشاعر فرحات من صميم الشعب والوعي القومي والحركة العربية الاستقلالية في المهجر البرازيلي فكان ذاك المناضل العنيد الأبي . وذلك الوطني الوفي . وذلك الصوفي السخي كما كان للعروبة صيدحها ورمحها . والقوافي فوحها وبوحها . تفجر في حناياه معين الشعر الصافي العذب ، فكان لسانه الذرب . وكان للابداع فتاه الندب .

وآيته الكبرى انه تسلق ذروة القريض وهو لا يعرف ما العروض ، ولا النحو والصرف ، وحركات الحرف . وجارى الفحول تحليقاً وتنميقاً وتزويقاً ، بملكة شعرية أصيلة . لا تتكلف ولا تتعمل ولا تتصلف . بل تجري كوثراً من خمر . وتطل دفقة من فجر ، واخذة من سحر ، وتتألق حرفاً من تبر ، وتحلق جناحاً من نسر .

***

وآية فرحات ورفاقه رواد الادب العربي المتحرر ، واعلام النضال القومي ، في المهجر البرازيلي القصي ، آيتهم انهم حلوا في قلوبهم وأذهانهم الى ديار الغربة النائية . كلمة شعب عريق في اصالته وحضارته وسماحته. كلمة شعب أريحي مطماح معطاء . رنا بأبصاره الى العلياء. ودق ابواب السماء • وضرب الاوتاد وشد الاطناب ونصب الخيام في رحاب القبة الزرقاء . ثم آب وملء جنانه ووجدانه . وحسه ونفسه . كلمة الله الزهراء . ينشرها نوراً وديناً وعلماً وشريعة غراء . ويفتح بها ابواب المجد والمضاء . والتسامي والاخاء . والسلام والرخاء .

آيتهم ايها السادة انهم ساروا في ضوء التراث الفكري العربي ، فما تاهوا ولا ضلوا ولا تنكبوا عن الطريق ، واغترفوا من مناهل العروبة ، فما رفعوا عيونهم الى سماء غير سمائهم ولا استقوا من ماء غير مائهم ، ولا جنحوا الى دلاء غير دلائهم • على كثرة ما حولهم من ماء ودلاء .

واننا نأبى أيها السادة ، ويأبى علينا تراثنا الفكري الزاخر ، يأبى علينا عقلنا العربي المبدع الباهر ان نمثل دور السفينة التائهة العائمة فوق الماء العذب ، فنستجدي الآخرين ونستسقي منهم ماء آسناً ، وعندنا الماء العذب الفرات متفجراً من انقى معين ، رقراقاً طهوراً قرة للعيون. وموردا حياً للظامئين . ورياً زكياً للارضين ....

ونحن اذا سألنا المجد في تاريخنا العبقري العملاق ، من معركة ذي قار التي ارتفع فيها اول صوت للقومية العربية ، الى معركة بور سعيد التي جدعت أنف القرصنة الثلاثية ، فمعركة الوحدة المصرية السورية التي غرزت المسمار الاكبر في عين الاستعمار والصهيونية ، اذا استفتينا المجد اجابنا : سلوا الايمان العربي ، سلوا العقيدة العربية . سلوا العقيدة النضالية المولدة الخلاقة ، التي تضرب الصخر بعصاها السحرية فينبجس منه كوثر العبقريات والالمعيات والاريحيات وفيض البطولات والمكرمات . بهذه العقيدة العربية العجائبية الصافية المتلألئة ، لا بالعقائد الآجنة الآسنة الماجنة التي يستوردها من الخارج من يعيشون على هامش الحياة والفكر والوطن، بهذه العقيدة ينبلج فجر الحياة والامراع والايناع • وينشق طريق الحرية والاشعاع والابداع .

وتعود بي الذكريات ايها السادة الى عام ١٩٢٥ يوم أصدر شاعرنا فرحات رباعياته الحكمية الساخرة الثائرة ، فقد نفحني آنئذ بنسخة منها مزدانة بهذه العبارة الاهدائية — الى اخي في الأدب والفاقة نظير زيتون —

فاسترعت انتباهي هذه (الفاقة) وتأملتها ملياً لأستشف من خلالها اطراء لا يفوقه اطراء ، وكبرياء تقصر عنها كل كبرياء .

ما أسمى هذه الفاقة المبدعة التي جمعتني بالشاعر العظيم فرحات على صعيد الأدب . وما امجد هذه الفاقة المعذوذبة التي تدفعني الى التغني بها في هذا المهرجان الجليل ، كما يتغنى الجندي ببطولاته وفتوحاته ، ماأحيلى ذكراها وذكرى ايامها .

نعم ، لقد كنا وقتئذ نتقاسم السراء والضراء ، والخيبة والرجاء . كما كنا نتقاسم الرغيف والماء . والشمس والهواء . وأحياناً الرداء . ولكنا كنا كرماء سعداء لا نتعثر بفاقتنا اذلاء . بل نصعد خدودنا اباة أعزاء . ونمضي الى اهدافنا اقوياء . حسبنا ان تظللنا رسالة العروبة الزهراء ، والوطنية الشماء • لنسحب ذيولنا على الاغنياء ، والملوك المزورين ، والامراء المحنطين ، فانما الفاقة يا أخواني ، فاقة القلوب لا الجيوب . وفاقة الروح لا فاقة المسوح . وفاقة المبادىء والاخلاق ، لا فاقة الخاتم البراق ، والقصر والرواق .

وانما الفاقة فاقة الوجدان . لا فاقة الطيلسان والذهبان. ومن تواضع للحق والوطن ارتفع واعتصم .

***

ويمضي شاعرنا فرحات في تأدية رسالته القومية الى جانب رسالته الشعرية ، ويطغي في خصومته السياسية المنحرفين ، ويتنكر للاصدقاء المتقاعسين ، ويرميهم تارة بقوافيه المسددات وتارة بسخرياته اللاذعات ، ويسير الى ابعد من هذا ، فلا يعامل ولا يعاشر الا من تسعرت في صدورهم نيران الوطنية ، والحمية القومية . مع ان مهنته التجارية ، تقضي عليه بالمجاملة أو المهادنة على الأقل ، وكأنه يأبى الا أن تطارده تلك — الفاقة المثالية المحببة التي كانت اطاراً لرسالته الوطنية ، وبالتالي جناحاً الى الصفاء والصوفية .

قابله يوماً أحد أصدقائه القدامى وعاتبه لانقطاعه عن زيارته ومعاملته بعرض رواميز المصانع التي يمثلها وختم عتابه قائلا : ألا يعجبك امضائنا التجاري حتى تتحاشى زيارتنا ومعاملتنا • ؟

فضحك شاعرنا واجاب بصراحته الساخرة اللاذعة ــ امضاك التجاري زين ، وعلى الراس والعين ، اما امضاك الوطني فوالله شين ، ما بيسوى قرشين ....

فأطرق الرجل ساهماً ، ثم رفع راسه وقد انبسطت اسارير وجهه واجاب : زرني ولك مني فاتورتان . فاتورة وطنية لفلسطين ، وفاتورة تجارية لك . ورضى فرحات عن صديقه القديم ، وصافحه بدمعة ترقرقت في عينه ....

ولعلي لا افشي سراً اذا قلت ان شاعرنا فرحات ، عندما اقتادته يد الجمهورية العربية المتحدة ، باقتراح مؤزر قدمه النائب السابق الاستاذ عبد اللطيف اليونس صديق المغتربين لزيارة مسارح احلامه ، تكريماً لشاعريته ووطنيته ، في ضيافة مترفة باذخة عزت على كبار السفراء والامراء واصحاب الطغراء باع الدار الوحيدة التي يملك ، وهي ثمرة كفاح طويل عنيف عنيد ، نعم ، باع الدار التي طوفت فيها الاشباح مخضوضلة بالعرق ، وتناثرت على جدرانها اشلاء الشباب والكهولة ، وعصفت في مخادعها زفرات الزند المنهوك والعزم المغلول . نعم باعها غير آسف على حصيدة خمسين عاماً ، على حصائل العمر ، ليضم الى جانب الضيافة الرسمية ، بضعة اشهر اخرى يقضيها في هياكل احلامه والهامه ، ومرابع حنينه والحانه ، حيث يتلمس رؤاه تنبض حياة وقوة وانطلاقاً ، وحيث يلقى فرحات الكهل فرحات الطفل ، فيتعانقان ويتناغمان ويتناغيان وقد راى الطفل نفسه كهلا ، وراى الكهل نفسه طفلا .... فتنتفض في صدر الشاعر نجوى الاقمار وحنين الأوتار . وشدو الاسحار . وما كان فرحات في اغاريده الا سماء وسحابا . وخمراً وملابا . وصبابات عذابا . وايماناً وغلابا . وسيوفا عرابا .

هذا هو جو شاعرنا فرحات ، بل لعل أبرز خصائصه انه غير معقد ، وغير متزمت أو متنصح أو متعمل ، وانما يطلق نفسه على سجتها وطبيعتها ، هائمة في معابد الجمال ، ومعاقل القومية ، ولا غرو أن تنعكس حياته على شعره ، وأن ينعكس شعره على حياته واحاسيسه ، فما جاشت قوافيه وتجنحت الا بعد تجربة عميقة وانفعال نفساني عاصف . وعسير بعد هذا أن نقع في شعره على مناسبات وتملقات ، ولكننا نقع على مخاض فكري وولادات ، فانتفاضات باكيات أو مغردات أو مستنفرات . وهنا يكمن سر الشاعرية والشعر .

***

ايها السادة ــ على اثر زواج شاعرنا فرحات بعقيلته السيدة جوليا ام خالد التي تنتمي الى اسرة النابغة العبقري جبران خليل جبران ، كان يطرق مسامعها عبارة يرددها اصدقاء زوجها دائماً في معرض اقتراحهم عليه نظم قصيدة ، وهي سويلنا شي بيت .. سويلنا شي بيتين .... والمقصود بالبيت ، بيت الشعر . اما ام خالد التي ولدت في البرازيل ونشأت في بيئة برازيلية تقريباً ، فكانت تفهم (البيت) بمعناه الدارج أي بيت السكن .

وبعد سنوات ضاق المنزل عن استيعاب الأسرة النامية ، وتذكرت أن اصدقاء زوجها كانوا دائماً يسألونه ــ سويلنا شي بيت ، وسويلنا شي بيتين ، فتشجعت وقالت له : بشوفك بتسوي بيوت للناس ، ليش ما بتسويلنا شي بيت النا ؟

فضحك فرحات واجابها ــ بيت الشعر يا ام خالد ، غير بيت السكن . الاول بيطلع من القلب والراس ، والثاني من الجيبي ، وجيبتي انا مثل ما بتعرفي ....

فلم تصدمها هذه الخيبة ، بل رفعت اليه نظرات ملؤها الحنان والاعتزاز ، واجابت : معليش . بيتنا كويس ومندبر حالنا .....

والواقع ايها السيدات والسادة ، أن الشاعر فرحات كان يبني . انه لم يكف قط عن البناء ، كان يبني لك يا سيدتي أم خالد ، بل كان يبني لأمته العربية بابياته الشعرية بومضات خياله وبيانه . بوثبات جنانه . بانتفاضات وجدانه . بعندلة قوافيه ولسانه ، كان يبني ما هو أسمى من بيت ، وأرفع من قصر ، وارحب من صرح . كان يبني لأمته وراء البحار ، دنياً من المجد ، هي دنيا العروبة . دنيا الثورة . دنيا الحرية والنور والجمال ، واعظم بها من بناء خالد ، وتراث معطار آبد...

ولا غرابة في أن يبني ، فهو ابن كفر شيما اللبنانية الشماء الحصداء ، ابن حقل الفضة المخضاب المنجاب ، الذي أطلع في دنيا العرب ، فراقد اللغة والعروبة والعلم والصحافة والأدب ، كالشيخ ناصيف اليازجي ، ونجله الشيخ ابراهيم الذي استنفر العرب في العهد العثماني ودعاهم الى الاستقلال في بائيته وسينيته المشهورتين . فكان شاعر القومية العربية الحديثة الأول ، وكالدكتور شبلي شميل العلامة المفكر ، وآل تقلا مؤسسي (الاهرام) كبرى الجرائد العربية وأمها .

والحديث عن شاعرنا فرحات يطول ويطول ، ولكن حسبنا من الروض عبيره المتبول . وجناه المعسول ، ومن البلبل شدوه المكحول .....

***

اما انتم يا سيادة وزير الثقافة والارشاد القومي ، أما انتم يا سيادة الأستاذ رياض المالكي ، فقد تمنيت وانا في رحاب نادي الضباط ، في عرين الأسود ووكر النسور ، القي كلمة المغتربين في مهرجان شاعرنا فرحات ، تمنيت والله لو ظفرت بلسان متشدق ، وبيان متالق . ونفس متدفق . وزند متعملق ، اذن لمددت باعاً الى الثريا ، يعربياً علياً ، واقتطفت من نجومها عنقوداً ، وصغت منها قلائد وعقوداً ، ونسجت من شعاعها مطارف وبروداً ، وشعارات وبنوداً ، وقد تنضدت في ثناياها آيات الشكران تنضيداً . مغردة تغريداً . متهللة تعظيماً وتمجيداً ، لوحدتنا العربية وجمهوريتنا الباسقة الفتية ، وقائدها الملهم الظافر ، جمال عبد الناصر .

فما تكريم شاعر المهجر فرحات ، سوى رمز الى تكريم المغتربين ، وسوى آصرة جديدة تشد الظاعنين بالمقيمين ، والتفاتة كريمة ترقرق فيها الحب والحنين ، والاعجاب بأولئك الابناء الميامين ، وبالشكر تدوم النعم . ولئن شكرتم لأزيدنكم ، وانا لله لشاكرون ، وانا بوحدتنا العربية لمؤمنون .

نزيل حمص **نظير زيتون**

لولا ضميري

تولت هموم الحياة عليا ... ولولا ضميري لعشت خليا

* * *

فكم ثروة تعجز الحاسبا ... تسلمت وهي لبعض التجار
فقلت أفر بها هاربا ... فقال ضميري حذار حذار
فارجعتها وغسلت يديا ... ولولا ضميري لكنت غنيا

* * *

وبكر اتت حجرتي موهنا ... يقود خطاها غرور الصبى
فقلت سابلغ منها المنى ... فقال ضميري ألست أبا ؟
فاغمضت عن حسنها ناظريا ... ولولا ضميري جنيت الشهيا

* * *

وسابقت في الشعر فرسانه ... فقصرت عن فارس مفلح
فقلت اعرقل ميدانه ... فقال ضميري ألا تستحي ؟
فعدلت حب التفوق فيا ... ولولا ضميري تركت دويا

* * *

شكوت ضميري شكوى الجهول ... ونحت على الحظ نوح الغراب
فاسمعني الله صوتا يقول ... اتشكو ضميرك يا ابن التراب
ولولا ضميرك ما كنت شيا ... ولو كنت من نيرات الثريا

أأنت حبيبتي ؟

ترى من في الأنام يزيل ذاي ... بحب مليحة جهلت محلي
تطل علي ضحوة كل يوم ... بقامة بانة وعبير فل
وتذهب بي الى احدى الضواحي ... ولا أرب لها غير التسلي
رضيت بكل أمر ترتضيه ... فأغراها رضاي بشد غلي
أثور علي من ألمي لأني ... أقصر في الهوى وأنا المجلي

* * *

فذل العبد في قلبي مقيم ... وفي نفسي اباء المستقل
فياشمس الغرام أضاع رشدي ... ظلام الروح في البرد المعل
اذا لم يأت منك سنى ودفء ... فما يجدي المعذب أن تطلي
فؤادي حار فيك وحار عقلي ... وحارت مقلتاي وحار كلي
أ أنت حبيبتي أم أنت ربي ... أ أنشد في حضورك أم اصلي
سألتك قبلة فمنحت صداً ... وملت علي بالوعظ الممل
كؤوس الحب من خل وخمر ... أما لي في كؤوسك غير خل
يولي العمر في أخذ ورد ... فوا لهفي على العمر المولي

الياس فرحات

الياس فرحات
الشاعر الحكيم والعروبي

بقـــلم : **الدكتور ابراهيم الكيلاني**

ما كادت الطائرة التي تقل فرحات وزوجه تحط في أرض المطار حتى هرع مستقبلوه يتفرس كـل واحـد منهم في وجوه النازلين منها عله يكتشف الشاعر فرحات فتكون له اسبقية الدلالة عليـه .

كانت دهشـة ، وكان ذهول ، فعوضاً عن ان يشهدوا شيخاً هرماً ، متعباً اضناه السعي واجهدته الهجرة فأتى ليلقي بأثقال همومه على ارض وطنه ، فقـد شهدوا رجلا يهبط السلم بخفة الشاب وثبة الرياضي ، ولم يكد يحيط به القوم حتى فارقـه ما يعتري القادمين عادة من تأدب واستحياء وتجمل ، فقـد كـان يسأل هـذا ويجيب على أسئلـة ذاك ، ويداعب الآخر ، يتلقف النكتـة من الهـواء فيرد عليها بمثلهـا او احسن منها ، فعلمنا عندئـذ اننا امام شخصية جذابة ، محببة ، تكمن فيها طاقة وحيويـة ولم يقو المهجر على شدة وطأته استلالهما او استنفاذهما .

ان كل شيء في هذا الصامي يوحي بالقوة والرسوخ ، راس ضخم قائـم بين كتفين عريضتين ، يحملـه جسم متماسك ، متين البنيان ، ثابت القدمين على الارض ثبات المصارع في الحلبة وعينان براقتان غارقتان في محجريهما تعلوهما جبهة محدبـة عريضة كأنهـا بناء حجري نحت بالازميل فيها شيء كثير من معاني التحدي وحب المقارعة والنضال .

أهم ما في شخصيـة فرحات كمتانـة الخلق وتقدير الذات والانفة من مسالك تقود بدورها الى تعشق الحرية والتحلل من القيود والتمرد على كل ما يحول دون تحقيق الرغائب الأصيلة واكتمال الشخصية وانسجام اجزائهـا ان حيـاة فرحات ونشأتـه ومزاجـه انعكاس لهـذه الظواهر ، قال :

« عندما كنت في الوطن كنت اعيش كما اريد ، فقـد كان ابي وامي يتساهـلان معي ، اعمل ما اشتهي واذهب الى حيث أرى ـ فالت على راسي ـ وهكذا فقد نشأت حراً لا أطيق القيد مهما كـان خفيفاً لهذا لم تطل اقامتي عند أخـوتي لأنني شعرت أن ارتباطي بعمل تجاري في محل لا اكاد أفارقه كارثة علي أن أنجو منها ... وكانت هذه نزعتي التي نشأت عليها قبل كل شيء » .

ولد الياس فرحات في قرية كفر شيما جنوب شرقي بيروت سنة ١٨٩٣ ، ومن يطالع أخبار طفولته وما تركتـه فيه من أثر يجد أنه كان ينزع بدافع الفطرة الى تقليـد الكبار تعجلا منـه للرجولة قبل أوانها وقـد هيأت لـه ظروف بيئتـه الأسباب لتفتح مواهبه المبكرة واكتساب التجارب ومكنته من اختزان المشاهد والصور عن طريق المحاكـاة والامتصاص الذهني العـاطفي ، وكـان يقول : « لا اذكـر من طفولتي الا انني كنت ولداً كالأولاد الذين يلعبون في ساحة الرملية التي كانت تعقد في دكاكينهـا مجالس الرجال واذكر انني كـنت محبوباً من هؤلاء لشدة حافظتي و ... خفـة دمي ! وكـان اذا جاء النـور الى الساحـة فرقصوا وغنوا بلغتهم المخلوطة ومضوا دعاني الرجال الى تقليدهم فرقصت وغنيت بتلك اللغة بدون ان افهم منها حرفـاً » .

ومن الظريف الا يصحب هذه المواهب الآخذة في التفتح دراسـة منتظمة ولم يكد الطفل الياس فرحات يتعلـم القراءة في مدرسة « الضيعة » حتى تركها وله من العمر عشر سنين وكان هذا آخر عهده بالتعليم ، وقد سببت لـه هذه الفجوة العميقة في دراسـته متاعب ومشقات ظل يعانيهـا ويغالبها طوال ثلاثين عاماً انها لصراع عنيف بين الموهبة واداة التعبير فكأن مواهبه الحبيسة التواقـة الى الانعتاق والافلات والتجسيم لم تجد منفذاً سـوى اللجوء الى الوسائل التعبيرية العفويـة فأخذ ينظم المعنى والقرادي والشعر العـامي ثم تدرج الى الشعر الفصيح على الرغم مـن جهلـه قواعـد النحو والصرف والوزن والقافية وقـد رويت له حوادث في هـذا الصدد قال : « قال لي اديب عربي علمت انك تنظم الشعر فهلا أسمعتني شيئاً من منظومـك ، وكان في جيبي قصيدة حديثـة النظم كـنت اظنها آيتي ، فمـددت يدي اليها فأخذتها وقرات :

ضروبـاً من الاهمـال حملني دهري
وجـر علـي الهم والـذل والقهر

قرات البيت واذا انظر في وجـه محـدثي لأرى كيف يكون تأثيره عليـه ، فلمـا سمع العجز ضحك ضحـكة جمدت الدم في عروقي على انـه لم ينتظر ان اسأله عن سبب ضحكه بل بادرني بقوله : ان العجز كله غلط ! ثم يقول فرحات :

اني بعد هذا الدرس لم اقع في غلط الفاعل والمفعول ، فكنت كلما نظمت بيتاً تذكرت هذا الدرس وحافظت على القاعدة !

وكان الشاعر القروي يقـول له معرضاً بجودة نظمـه وضعفه في اللغـة :

« ان أحسن مـا في شعرك انـك تنظمه ولا تعرف ان تقراه » .

ويعقب فرحات على هذا بقوله : « ذلـك لأني اجهل ابسط قواعد الاعراب » .

على أن ضعفه في علوم الآلة لم يحل دون مثابرته على النظم واستكمال النقص اللغوي ، ولا بأس عليه ما دامت عنده الصنعة الاساسية وهي الموهبة ، الم يقل الجرجاني في الوساطة : « ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه

الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له » وقد سار فرحات في نظمه بالفصحى على طريقة الاصطفاء والوصول للكمال بالجهد الطويل والتنقيح الشديد والتشذيب الزمني قال : « ان كل شعري المطبوع نظم بعد الحرب الكونية الاولى فلقد اتلفت كل ما نظمته قبلها وبعضاً مما نظم بعدها ، حتى لأقدر اني اتلفت من الشعر اضعاف ما ابقيت منه » . وقد افادت هذه العملية الانتخابية الشاعر في نقله من مرحلة الغموض التعبيري والرجرجة والضعف الى مرحلة التمكن والوثوق بالنفس وتكامل الصنعة الفنية ولا ريب في أن نزوعه المبكر الى القول وتسرعه في نشدان اداة التعبير عن موهبته الشعرية وعدم تريثه لاستكمال العدة واتقان اللغة . قد عمل على تأخير نتاجه الشعري فكان اول ما ارسل الى كفر شيما زجلا نظمه سنة الف وتسعمائة وعشر وبعد مرور ثلاثين سنة ارسل الى ضيعته ابياتاً بالفصحى يقول فيها :

اني لألمح من خلال دموعي
صوراً ، طواها البين بين ضلوعي
صوراً يجسمها الخيال مضاعفاً
عطشي لرؤية من احب وجوعي
أربوع احبابي لأنت وان نأت
بي عنك مركبة الزمان : ربوعي
اذا في الخريف وما ذكرتك مرة
الا شعرت برجعة لربيعي
يا من بيقظته يزور حبيبه
اني ازور احبتي بهجوعي
طال الفراق ولم ازل متمسكاً
جهلا بحبل سعادتي المقطوع
أعدوا الى امنيتي عدواً وما
امنيتي الا وشيك رجوعي

وفي هذا مصداق لقول سعيد عقل : « لا وجود لأية شرارة جمال الا ووراءها عمر من التحضير والكد » .

ان الشاعر لا يمتع صوره وافكاره من العدم ، فان وراء كل نتاج ادبي مهما تعددت الوانه وصفاته تأثيرات مكتسبة واقعية بعيدة كانت أم قريبة لان الابداع الشعري بحاجة الى غذاء ولكي يبدع الشاعر وجب عليه ان يغذي فكره ومخيلته بالمقروء والمنظور والحوادث الموحية والمثيرة والرؤى ومشاهد الوجود على أن يتمثل كل هذا في وعيه الشعوري واللاشعوري ثم يبرز بعد عملية خفية بطيئة في شكل جديد عليه طابع الابداع وسيماء الخلق .

وفي الحق فان تجارب الحياة وظروفها القاسية قد امدت فرحات بعناصر غنية عملت على تكوين شخصيته الأدبية وصقل موهبته الشعرية فمن روائع قوله في الاشارة عن مصادر شعره ومنابع وحيه :

يقولون : عمن اخذت القريض
وممن تعلمت نظم الدرر
واين درست العروض وكيف
تلقفت هذا البيان الأغر



وما كنت يوماً بطالب علم
فانا عرفناك منذ الصغر
فقلت : اخذت القريض صبياً
عن الطير وهي تغني السحر
وعن خطرات عليل النسيم
يمر فيشفي عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجداول
فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الاديب
بزاحمه الموسر المحتقر
وعن نظرات الحسان اللواتي
يكدن يغلغلنها في الحجر
وعن عبرات الحزانى الضعاف
ففي عبرات الحزانى عبر
لئن كنت لم ادخل المدرسات
صغيراً ولا بعد هذا الكبر
فذا الكون جامعة الجامعات
وذا الدهر استاذها المعتبر
ففي المبكيات بيان جميل
وفي المضحكات معان غرر
وفي كل ما يبصر المبصرون
دروس تنار بهن الفكر
فمن يحى يوماً ولا يستفيد ،
اعمى البصيرة أعمى البصر

نزح فرحات من المهجر كغيره من ابناء وطنه (مستجيراً مسترزقاً) حاملا معه الى جانب آماله في الربح والاثراء مثالية « زاهدة » في متع الحياة وقد حاول عبثاً التوفيق بينهما فتمت في النهاية الغلبة للنزعة المثالية على المادية على ان افلات فرحات من براثن المادة وولوجه عالم الحلم الشعري والخيالات والرؤيا لما يتم دون مأساة تخللها تجاذب وتمزق وحيرة وصراع بين الروح الشاعرة وعالم المنفعة الذي هو عالم الخوف والقلق والحاجات والتطلع الى المستقبل مما يقضي على الشعور الجمالي ويبعد عن منابع التأمل والحلم الشعري ، ولذا كان طبيعياً على فرحات وغيره من المثاليين ان يتيهوا وسط مدنية آلية تعبد عجل الذهب وان يمنوا

بالاخفاق فيما رحلوا من أجله ولم يفت شاعرنا ان يعرض علينا في قصائد ومقطوعات رائعة صوراً عن طغيان المادة على النفوس وضياع الشعر عند غير أهله وبؤس الاديب وهوانه وعجزه عن تحصيل الرزق وهذه المكائد الدنيوية التي تجرعه المر وتحمله على السير فوق الاشواك قال :

وهل يستقيم النظم والنثر لامريء
يبيع ويشري مرغماً ويساوم
ومن الذي يمسي على اللفظ حائما
وفي صدره هم على القلب حائم
ووالله لولا فطرة ما لدفعها
سبيل لانستنا الهجاء اللوازم

وقال محذراً من دنس المادة ومزهداً فيها :

يا شاعر العرب احذر أن يقال غداً
تحل التجارة أعمى شاعر العرب
سر في سبيل العلى الشواك منفرداً
وليذهب الناس أفواجاً مع الذهب
ان التجاره للاخلاق مقبرة
أما النسائج فالاكفان للأدب
ان ضاق عيشك كن مساح أحذية
لا تاجراً يفتني بالغش والكذب

ومما كان يزيد في حزن الشاعر نظمه الشعر في بيئة أعجميه او بين اثرياء أغبياء لا يفهمون الشعر ولايتذوقونه، وبيس اشق على الأديب من ان يعدم صدى لروحه ، ورجعا لصوته قال :

فكيف يعز الشعر في دار غربة
كأن فصاح العرب فيه طماطم

وقال :

انا قضينا كل أيام الصبا يا جارنا
في غربة طالت فقصر طولها أعمارنا
نزجي لغير الفاهمات شعورنا أشعارنا
فنضيعها واخال انك مقتف آثارنا

ولعل من أجمل ما قيل في تصوير كفاح الأديب في البيئة المهجرية ومغالبته للطبيعة وما يلاقيه من العنت في سبيل الرزق قول فرحات من قصيدة مؤثرة عنوانها « حياة مشقات » يصف اشتغاله بالتجارة وضربه في الفلوات والمجاهل البرازيلية :

طوى الدهر من عمري ثلاثين حجة
طويت بها الاصقاع اسعى واداب
اغرب خلف الرزق وهو مشرق
واقسم لو شرقت كان يغرب

الى ان يقول :

ومركبة للنقل راحت يجرها
حصانان : محمر ، هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء : شدها
غرابيل ، ادعى للوقار وانسب
جلست الى حوذيها وورائنا
صناديق فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعاً من كل نوع يبيعها
فتى ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحر نجاده
واغواره أمواجه وهي مركب
تبين وتخفى في الربى وخيالها
فيحسبها الراؤون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر
فنحسب ان الليل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها
فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى
فنوشك من تلك الخلاعة نقلب
نبيت بأكواخ خلت من اناسها
وقام عليها البوم يبكي ويندب
مفككة جدرانها وسقوفها
يطل علينا النجم منها ويغرب
عليها نقوش لم تخط بريشة
تظن صباغاً لونها وهو طحلب
يغني لنا فيها الهواء كأنه
ينومنا ، والبرد للنوم مذهب
فنمسي وفي اجفاننا الشوق للكرى
ونضحي وجمر السهد فيهن يلهب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة
وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياة مشقات ولكن لبعدها
عن الذل تصفو للأبي وتعذب

ان حيرة الشاعر بين الحقيقة والخيال ، وتردده بين العالم الخارجي الصاخب المناويء ، وبين الحياة الداخلية التأملية التي ينزع اليها في جو انفعالي مشحون بالشكوى والحنين الى الارض التي اقتلعت منها جذوره ، كل هذا قد لون الشعر المهجري في غالبيته بلون اسود تشاؤمي لم ينج منه الياس فرحات ، بل هو عنده اكثر وضوحاً ومهما يكن من شيء فان التفاؤل والتشاؤم منوطان الى حد كبير بالوراثة والمزاج والطبع والسن والظروف ونحن اجمالا أميل الى التفاؤل عندما يكون الخط البياني في حياتنا يرتقي صعداً الى العلاء ، والى التشاؤم عندما يبدأ في الانحدار ، فان أحلام اليفاعة والشباب تحمل على الاقبال والامل ، كما أن أحلام الكهولة والشيخوخة تحمل على الانكماش والكآبة والحسرة وسوء الظن، ان هذه الاعتبارات تنطبق على الياس فرحات الذي لم يطلع الناس بشعره الا بعد انطفاء شرة الشباب وخمود جذوته في صدره ودخوله مرحلة النضج واكتمال الذات وفهم الحياة واكتناه نواحيها الخفية وفواجعها المخيفة ، ألم يدع الناس الى هجر المحيط المدني الفاسد والفرار الى الغابات حيث العافية وسلامة الروح والبدن :

خذني الى الغابات واتركني أعش زمناً
مستمتعاً بسلام النفس والبدن
فما أخاف نيوب الوحش فاتكة
كما أخاف لسان الناطق المدني
ان المدائن في مجموعها دمن
أما الرجال ، فأدباك على دمن

يقضون حاجتهم منها وارفعهم
صوتاً اذا صاح : ارواهم من الأسن

أما الحياة في نظره فهي :

هذي الحياة وانت تعرفها
غرارة في السر والجهر
فالغدر بالاخلاص مختلط
والعهر ممتزج مع الطهر
والشوك شوك الورد مستتر
للختل خلف نواضر الزهر
والناس اقذار تجمعها
الأقدار تحت اظافر الدهر

كان محصول فرحات في حياته ، كالمتنبيء ، حكماً رائعة اودعها رباعياته وصف فيها الناس منتزعاً الاقنعة عن وجوههم ، مشيراً الى ضعفهم وتفاهتهم ونذالتهم ولؤمهم ، محاولا ان ينتزع من الطبيعة الانسانية مشاهد واسراراً نسج منها مادة حكمته ، ومن اقواله الرائعة :

لا يقفل البشر الابواب ان رقدوا
خوفاً من الدهر بل خوفاً من البشر

وقوله :

والمرء وهو يداوي البطن من بشم
يسعى ليسلب طاوي البطن ما جمعا

وقوله :

يا من يحاول ان يلغي بقوته
حكماً اصر على تنفيذه القدر
لن للزمان اذا اشتدت عواصفه
ان الغصون اذا لم تلو تنكسر

وقوله :

والحظ يخدم بعض الناس عن عمد
حيناً ويخذل كل الناس احياناً

وقوله :

لو يعرف الكبش ان القائمين على
تسمينه يضمرون الشر ما اكلا

وقوله :

ان كنت تطلب نفعاً من مودتهم
فالنفع اجمع ان تنجو من الضرر

نظم فرحات معظم رباعياته بعد انقضاء الثلاثين من عمره وكان قد نظم جزءاً منها في سن الشباب وقد يتعذر على الناقد اكتشاف الفرق ان في الروح او الأسلوب كأن فرحات دخل معركة الحياة ومعه رصيد من الحكمة والتعقل ينجده في المآزق وينفخ فيه عزماً يقيه التردي في شراك الناس ، وفط مهاوي العطب واليأس ، كما يتيح له ولقاريء رباعياته ان يفرغ شحنة قلبه من التمرد والسخط على سنن الحياة ومتناقضاتها ، والناس ابداً مفطورون على حب الحكم والتمسك بها ، فهي زبدة التجارب وحصيلة تفكير الحكماء والعقلاء ، نثروها على الناس في شكل دساتير لتؤنسهم في مواقف الفشل ، وتعزيهم عندما تبهم الأمور وتستعصي عليهم الحلول وقديماً قيل : صاحب الحكم رجل مسلح ، والحكم عند الانسان كالسياسة للدولة .

ومن حكمه الرائعة مجدداً اسس فلسفته السلوكية ونظرته للعالم :

فيما التقاطع والاوطان تجمعنا
قم نغسل القلب مما فيه من وضر
ما دمت محترماً حقي فأنت اخي
آمنت بالله ام آمنت بالحجر

وقوله :

تعويد كفيك الصلاح ابر من
تعويد رجليك الوقوف بمسجد
انا لا اصدق ان لصاً مؤمناً
ادنى لربك من شريف ملحد

وقوله :

تتلو اساطير اسلاف الورى فنرى
جهلا غريباً وخلطاً في الديانات
والجهل والخلط ما زالا كما عرفا
منذ الوجود سوى بعض اختلافات
هذي عقول بني حواء ما برحت
عمياء تسبح في بحر الخرافات
اذا ضحكنا من الماضي ولا عجب
ان كان حاضرنا اضحوكة الآتي

ولئن خاطب فرحات في رباعياته عقول الناس وافهامهم فقد خاطب في دواوينه الأربعة عواطفهم واحاسيسهم، ولئن تجلى في رباعياته شاعراً حكيماً خبر الحياة حلوها ومرها ، فقد بدا في دواوينه شاعراً غنائياً ، واذا كانت الغنائية انعكاساً للوجود من خلال روح الشاعر ، فان الشعر الغنائي فن التعبير في اطار الذاتية عما في الكون من مظاهر وأسرار واشياء ينحني عليها الشاعر ليبرزها مغلفة بحرارة قلبه ومغشاة بانفعالاته الوجدانية التي تثير فينا الحماسة والنشوة وتفجر المشاعر النبيلة التي تزيد في قيمة الحياة وبهجتها .

ان بعضاً من شعراء العربية سجنا فرديتهم ، بل سجناء « الأنا » لا يتعدونه يحللونه بدقة ويترصدون خلجاته الخفية ليضيفوها ان هذا من الشعر ولكنه ليس الشعر كله ، فان بقاء الشاعر ضمن حدود « الأنا » يجمد الحياة حوله ، ويفقده فرصة التجدد والتنويع ، فهو يدور في حلقة من العواطف والافكار تضيق وتضمر شيئاً فشيئاً فلا بد له اذن من التوسع والامتداد خارج حدود هذه الفردية ، فهناك شعر ذو صلة وثيقة بحياة ناظمه وهناك شعر اوسع آفاقاً يتناول موضوعات فلسفية او اجتماعية او سياسية او قومية يكون الطابع الغنائي فيه تعبير عن عواطف ذاتية ممتزجة بعواطف جماعية في اطار انساني عام ، قال الشاعر هوغو عندما نظم ديوان التأملات : « انها مصير انسان كتب يوماً فيوماً، هل هي قصة حياة انسان ؟ نعم وحياة الناس جميعاً ، اذا لم يكتب لأحدنا ان تكون له حياة خاصة به ، ان حياتي حياتكم وحياتكم حياتي ، أنتم تعيشون ما أعيشه .... آه منك يا عديم الحس الذي يظن انني لست هو » .

هل أغني؟

ظننت بغى الفتوة والتمني ... تزول بالاكتهال فخاب ظني
أرى قلبي يظل على صباه ... ولو حامت على التسعين سني
يكلفني الشقي هوى الصبايا ... فاهواهن ممتثلا كاني ....
ويولعني بأصغرهن سناً ... وأصغرهن أبعدهن عني
بكيت فقال أصحابي: أتبكي ؟! ... فقلت مضى الشباب فهل أغني ؟
ولو راح الهوى لأراح نفسي ... من الصد المبرح والتجني
ولكن الهوى باق وقلبي ... بمعترك الحفاظ بلا مجن
بأي وسيلة أرضي الغواني ... وشعري عندهن عزيف جن
غريبات اللسان يرين شكاي ... وليس يرين معرفتي وفني
يرقن على أديم الأرض خمري ... اذا لم يرضهن جمال دني
دعوا دمعي يسيل فما لمثلي ... شعور المستريح المطمئن
وليس أحق من عيني بدمعي ... وأولى بالبكاء علي مني

الياس فرحات

ان اصالة الشاعر ليست في تفرده فحسب بل في قدرته على ايقاظ الاستجابة العاطفية والفكرية عند الآخرين ، ومن هنا أوجبوا على الشعر الغنائي أن يتجاوز عالم الفرد للوصول الى ذلك الاساس الراسخ المشترك الذي تتلاقى فيه وتتجاوب عبر الافراد والعصور جميع أماني الانسانية وآمالها .

ان نفاذ الشاعر من طوق الذاتية الى مجال القضايا الكبرى التي تشغل الناس في زمن الشاعر لدليل على غنى الشاعر واكتمال شاعريته فالشعر قبل كل شيء احتجاج صارخ فهو صوت الثورة ونذيرها يستمد واياها غذاءهما من نزوع الجماهير الى الحفاظ على القيم التي جهدت الانسانية في الدفاع عنها وصيانتها من عبث الطغاة وعصف قوى الظلم العمياء ، ومن غير شعراء المهجر اولى بأن يرفع الصوت بتمجيد الحرية في بلاد الحرية ، واستنكار الظلم ، وتصوير آلام الوطن وعذاب بنيه والدعوة الى حياة حرة كريمة ، حتى بات الشاعر هناك يعيش حياة مزدوجة الاولى مهجرية والثانية وطنية او كما قال عريضة :

انا المهاجر ذو نفسين واحدة
تسير سيري واخرى رهن أوطاني

ومن يتصفح ديوان فرحات يجد فيه قصائد تضج بالشعور القومي وحب العروبة وأهلها والدعوة الى الوحدة القومية « دعوة مخلصة بمنطق معقول وحماسة واقعية » . وقد بلغ من حماسية شعراء المهجر انه لم تكن تحدث حادثة في أية بقعة من بقاع الوطن العربي على اختلاف اقطاره وتباعد دياره الا وجدت عندهم صدى وتعبيرا ألم يقل فرحات عن الثورة السورية « كانت نار الحماسة في صدري تضاهي نار الثورة في بلاد الشام » ألم يجعل حب بلاده وقوميته مقياساً حتى في العلاقات الشخصية :

يقولون لي صادق فلاناً فانه
اخو نجدة يرجى لساعة ضيق
فقلت لهم : هذا صحيح وانما
عدو بلادي لن يكون صديقي

انه شاعر قومي أحب أمته ، وعشق الارض التي ولد عليها ، فأوحى اليه الحنين اليها بأرق الشعر-واعذبه قال من قصيدة يتغزل بعروبته :

دار العروبة ، دار الحب والغزل
هاجرت منك وقلبي فيك لم يزل
هلا مننت بلقيا استرد بها
فجر الشباب فشمس العمر في الطفل
هذي الغريبة ما زالت تقبلني
والسم يقطر من أنيابها العطل
والله يشهد أني كلما رجعت
مني اليك الصبا حملتها قبلي
انت الحبيبة لا هذي التي زرعت
في المشيب فلاح اليبس في السبل
الحسن فيها جديد وهو مبتذل
والحسن فيك قديم غير مبتذل

ويقول مدحت غراب : « وطن فرحات قطعة من الارض تحدها شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً اللغة العربية ، ولا يفرق بينها اقليم أو لهجة أو دين أو شعوبية » . ونحن واجدون في ديوانه قصائد شتى تشمل المحيط العربي كله فمن ثورة الشام الى ثورة بطل الريف الى ثورة مصر ، ومن رثاء سعد زغلول الى رثاء بطل ميسلون الى تحية الاندلس والشام ولبنان واللغة العربية وغير ذلك من الشؤون والاحداث العربية جميعاً شعور صادق ووجدان قومي حي وايمان بالوحدة يتمثل في هذه الابيات الاربعة :

انا وان تكن الشآم ديارنا
فقلوبنا للعرب بالاجمماع
نهوى العراق ورافديه وما على
أرض الجزيرة من حصى ورمال
واذا ذكرت لنا الكنانة خلتنا
نروى بسائغ نيلها السلسال
ان الكنانة أم كل مجاهد
حر كريم ماجد مفضال

هذا هو الياس فرحات انه واحد من فرسان العروبة وشعرائها على أرض المهاجر .. !

امنيات انسان ضائعة

قصة بقلم :

ياسين رفاعية



اخذ لفافة . اشعل عود ثقاب . شرد قليلا ، ثم احرقها وتلقف منها نفساً عميقاً ، ولفظه بهدوء وامعان ، كأنه يدفع الدهر كله من صدره ، واخذت عيناه تنتقلان بكآبة الى انواع الفاكهة التي صفها بنظام بديع جميل ، وبشكل يلفت النظر ، ثم عاد الى لفافته ، واخذ منها دخاناً كثيفاً كأنه يريد ان يحرق نفسه ، ثم دفعه بشكل اغشى عينيه ، ودفن رأسه به ، والتفت الى الماء المغلي في الابريق ، ووضع حفنة من الشاي ، ثم اخذ يمعن النظر بالبخار المتصاعد الى الفضاء ، كأنه فقير هندي يستطلع منه الايام المقبلة لعلها افضل من الايام المدبرة « ترى .. الى م يمضي في هذا العالم الذي يحياه ؟ .. الى م يعبر الايام التي تمر برتابة مملة تكاد تدفعه الى الجنون .. ؟ وهذه الوحدة التي تصرخ في اعماقه بقسوة .. متى ينتهي منها .. ؟ »

هو يعيشها منذ اعوام ، مرت بلا وقوف عند شيء يسعده ، او يدفع قلبه الى امر مفرح .. حتى غدا يجد الحزن امراً عادياً .. يجد انه خلق لاجله .. بل انه قفز الى الحياة .. وهذا الحزن مجبول بدمائه .. بعقله .. بقلبه ، وهو يحاول ان ينتزع الفرح من الحياة ليغمر به صدره ، ولكنه لا يصل الى هذا الصدر الكئيب الا متحولا الى حزن ، كأنه مر في مرجل كيماوي وبطريقة آلية تحول الى دمع لا يخرج من المآقي ، بل يسقي تلك الشجرة المغروسة في قلبه لتنبت فاكهة اسمها الحزن ..

وتصاعد الدخان مرة ثالثة ، كثيفاً اكثر .. وكئيباً اكثر .. كأنه يحمل على كاهله ، ما شاهده في صدر يجمع شتاتاً قاسية .. ليس فيها من معان .. الا ما يحمل الشقاء بكل معانيه .

كان يتمنى لو كان لهذا الدخان لسان فيتكلم ، ويشكو ما مر به منذ لحظات .

يقال : الاصدقاء كثر .. ولكن اين هم .. ؟ اترى يجد صاحباً واحداً يستمع اليه ، دون ان ينال منه سخرية ..؟

كان يتمنى ان يجد من يشكوه هذه الوحدة التي تزأر في صدره كصراخ ذئاب جائعة في ليال باردة .

في بعض الاحيان .. والظلام الاسود يأكل الكون ، يمسك الوسادة ويصهرها بعنف ، يتمنى ان يبكي .. فيعصيه الدمع ، ويضغط باسنانه في عصبية قاسية .. واصرار ..

« آه .. آه من تلك الايام .. لا شيء يتغير فيها .. لكأنها تناصبني العداء لوحدي من غير الناس .. امنياتي الصغيرة .. تضيع في اللحظة التي الفظها .. »

ويتساءل :

« لماذا لا يعلن الحرب على هذه الايام ؟ لماذا يتعلق بذيل الحياة ؟ الا يستطيع ان يدفع جسمه من عل .. ويلفظ روحه غير آسف . »

وطفح الشاي المغلي واطفأ النار ، وتصاعدت رائحة الغاز فتناول عود ثقاب واشعل النار ، ثم دلق الشاي في قدح كبير وعاد الى نفسه .

« منذ الصباح .. ترفع الراس عن الوساد القاسي ، وتقتلع الجسد من الفراش الجامد ، بخطوات ثقيلة كالحياة .. الى السوق ، وفي الجيب حفنة من النقود ، وتعود الى دكانك القريبة من السوق ، وصديقك الحمال يثقل كاهل حماره بما اشتريت .. »

« .. الناس ، بعد ، لم يفيقوا ، ويدك تمتد الى القفل وتفتحه ، وتأخذ الفاكهة وتصفها بنظام ، كأنك تحسب نفسك تنظم الكون كله .. ترفع فاكهة الامس فوق فاكهة اليوم ، اتراك تقص قصة الحياة في عملك هذا ؟ .. فاكهة الامس لا بد ان تذهب قبل فاكهة اليوم ، وفاكهة اليوم يجب أن تباع قبل فاكهة الغد .. كالانسان الذي يدفع الايام التي تمر من عمره .. الامس لا يعود .. واليوم يعقبه الغد .. ويصبح حلماً تتلوه بثوان .. تباً للحياة .. ليتها كانت بغير هذه الرتابة ..

***

يرى الصحاب يقفون امام الدكان ، يسدون عليه النور ، ويمد أحدهم يده ويأخذ مشمشة بلا استئذان ويدفعها الى فمه ، ويسأل آخر : الا تذهبون الى السينما ؟ في صالة الدنيا فيلم لانغريد بريغمان .. ما رايكم .. ؟ ويجيبون : طالما الفيلم لانغريد بريغمان .. فليس هناك نقاش .. هيا ..

ويمضون .. دون القاء التحية .. دونما وداع ، كأنهم كانوا واقفين امام تمثال لا يحس ولا يشعر مثلهم ، ولا يعرف انغريد بريغمان ..

« حقيقة لا اعرفها .. من تكون انغريد بريغمان هذه .. الذين اجمعوا على ان يشاهدوا فيلمها ؟ هل هي جميلة كالصغيرة التي تمر صباح مساء امام دكانه ؟ لماذا لا يعرفها مثلهم ؟ . هل لانه يسجن نفسه طوال النهار في دكانه حتى قبل منتصف الليل بقليل ، ثم يسرع ليأخذ الفراش اللعين، ويشكو كآبته الى الوسادة الصامتة ؟ . . »

« كان يجب ان اذهب بعد ظهر الجمعة الى اية صالة السينما .. لأشاهد هذه الممثلة وأتحدث عنها كما يتحدث الصحاب .. بدلا من الذهاب الى الحمام .. والبقاء في جوه الخانق لأجل النظافة .. »

بعض الاحيان .. يترنم بأغنية حزينة ! انا وحدي ؟ انها حزينة حقاً .. وهو يقول : انها تنطبق عليه تماماً .. ما أقسى الوحدة ..

« ليس امامك .. الا ان تأخذ حبلا غليظاً الى سقف غرفتك وتأخذ الطرف الآخر الى عنقك ، ثم تقذف ، وبعدها ، لا شيء انت مطلقاً .. »

وافزعته الفكرة ، وخافها كثيراً ، ولكنه شعر كأن قوة خفية تدفعه أن ينفذها .. ان يكون شجاعاً يوماً واحداً على الاقل .. ويتحدى القدر بهذه الصراحة

أبداً .... كان القدر يهزمه في كل شيء ..

***

يذكر تماماً ..

اخذ دراجة . كان يوم جمعة ، والحي ليس فيه عابر بعد الظهر ، والجميع تفرقوا في الربوة .. وامام شلالات دمر.. وفي صالات السينما والمقاهي .

ومضى حتى « القصاع » ودخلَ حانة .. ودفع للبائع زجاجتين .. ثم قال له : كوكتيلَ من فضلك ..

وانتظر قليلا ، ثم اخذهما ونفح الثمن. عاد الى الدراجة. امتطاها . ثم قصد الى الحي الذى ما زال خالياً ، وفتح باب البيت . ودخل غرفته . اغلق بابها خلفه ، ونظر الى الحبل الملقى فوق الفراش الملفوف في الزاوية . ودمعت عيناه لأول مرة : سيترك الحياة هذه الليلة .. هذه الحياة لا معنى لها .. امنياتها ضائعة . لا يمكن ان يأمل الانسان بشيء يستطيع تحقيقه ..

اخذ يصب الخمرة في القدح « ما الذي يدفعه ان يتعلق بالحياة ؟ الصحاب جميعهم . . تداعبهم آمال حلوة .. جميلة .. وقد حاول ذات مرة ان يكون مثلهم ، واختلج قلبه بحب الصغيرة التي تمر صباح مساء . دون ان تلتفت اليه . ولكنه استسخف الفكرة بعد مدة وجيزة . . الاصدقاء يتابعون فتياتهم ، وينعمون بنظرة . بهمسة . ببسمة ، ولكنه هو . . فقد شعر بانه جبان ، فكلما كان يحاول لفت نظرها . كان يغرق في عرقه الذي يتفصد كالنبع من كافة انحاء جسده .

اذن .. فهو ليس جديراً بالحياة . لانه لن يستطيع ان يامل . وان يحصل على آماله .

والتحقت بعض النقاط من العرق على ارنبة انفه ، عندما دفع القدح الى فمه وافرغه كله بجوفه ، كأنه لم يذق ماء منذ ايام ، وعب كأساً آخر ، ودمدم : تمنينا شيئاً لا طاقة لنا به .

وتصور نفسه قد نفذ فكرة الانتحار ، وشرد الى المقبرة القريبة من بيته « ليس في القبور الا العظام ، ورائحة نتنة ، .. اهكذا يجب ان ينتهي اليه ؟ أليس قسوة أن ينتقل من وحدة العالم الواسع .. الى وحدة القبر . . ؟

كل همه ان يهرب من وحدته .. من حياته الرتيبة .. فهل يجد في الحفرة المظلمة مبتغاه . . ؟ أيكن ما يكون .. طالما تضمه الحفرة جيفة لا اكثر ، ليس فيها من حياة تحس او تشعر بها . « ما همك ان يحرقوك . ان يشرحوك بعد الموت .. هل تصل بك الانانية الى حد تخاف على نفسك حتى بعد الموت . . يا لك من انسان غبي .. »

وتفر الشمس من السماء . ويبدأ بافراغ الزجاجة الثانية « وبعدها .. ليفعل القدر ما يشاء .. »

« من تراه يحزن عليه اذا علم النبأ .. هل يمكن لغير امه العجوز ان تهب لأجله دموعاً ساخنة . . لا تهدا عن الانسياب ، وامه لا تراه الا لماماً ، عندما تقدم له الطعام او تحتاج الى بعض المال ، فهل تجد فراغاً هائلا لو انتهى ؟ .. »

وتلقى جوفه قدحاً آخر « اين الصحاب في هذه اللحظة .. هل هم يلعبون الطاولة .. هل يحتار النرد بين ايديهم ؟ .. والصغيرة الحلوة ، ما ذا تراها تفعل في هذه الفترة ؟ هل تلاحظ عندما تمر غداً في الصباح امام دكانه فتجدها مغلقة ، ليس فيها من تمناها ان تكون له ليهبها عصارة قلبه . ؟ هل تسأل جاره القصاب عنه ؟ ما ذا سيقول لها : انتحر ... اتراها تمسك راسها بعصبية ، وتنفرج عيناها الحلوتان عن فزع وتردد : انتحر .. انتحر .. ولماذا ؟ ... ان جاره لا يعرف لا يعرف ما يختلج في نفسه ، سيقول لها بنبرة حزينة : والله اعلم .. فتجيب : يا حرام يا حرام الله يرحمه . »

« عجباً ولماذا تريدها ان تهتم بك هذا الاهتمام ، اتراها تلحظ ما بعينيك كلما تمر بك .. ؟ ما اسخف تفكيرك ... »

وشعر براسه يهبط بقوة فوق صدره ، ومد يده نحو القدح ، يحاول ان يمسكه .. واذا به يقع على الارض ويتحطم « انت ... بعد قليل .. ستصبح مثل هذا القدح .. »

وهذه المرة ، اخذ الزجاجة يسد بفوهتها فمه ، وشعر كان صدره يحترق ، كان يريد ان يتقيأ ، ولكنه لم

يستطع ، وشعر كأن ناراً تأكل معدته . حاول ان يقف . فما استطاع ، كانت الزجاجة مضمومة الى صدره بحنان .. كأنها حسبها الصغيرة التي تمر صباح مساء ، وهزها قليلا ، حتى عرف انه لا يزال فيها بعض من خمرة .. فأفرغها دفعة واحدة ، ولما خلعها عن فمه هوى فوقها الى الارض ، فتحطمت . وحاول ان يقف مرة اخرى .. واستند الى الجدار ، استطاع ان يستوي واقفاً ، ولاح له كأن المصباح الكهربائي يهتز بعنف مضن ..

واخذ راسه يدور . حاول ان يمضي نحو الحبل . لكنه شعر كأن غبشاً كثيفاً غطى عينيه . كان يريد من الخمرة أن تمنحه الشجاعة على تحدي القدر . لا ان تدفعه الى الجبن اكثر فاكثر .

واخذت جدران الغرفة تتقاذفه ، وشعر بالعرق يغمر جبهته . واصبحت الارض تميد تحته .. والغرفة تدور بسرعة مجنونة كأنها دوامة .. ثم .. ثم هوى بقسوة على ارض الغرفة .. وغاب عن الوعي ....

وتفجر الصباح ينم عن يوم جديد ، لكنه غريب عن الايام السابقة ..

ودخلت الام ، فعجبت من حال ابنها ، وادركت انه قاسى ليلة مريرة . ورفعته الى صدرها . ولمست جبينه بيدها . فاذا به ينطق ناراً ، فصارت تمسحه بخرقة مبللة بماء ، والدمع يتخطى مقلتيها بصمت .

واخذ يحرك راسه . « أتراك لا تزال على قيد الحياة ؟ .. هل انقذوك في آخر لحظة .. ؟ »

وحاول ان يفتح عينيه ، ولاح له وجه امه كخطوط رسمتها يد طفل ، أو كظل وقع على صفحة ماء ، تداعبه نسمات عليلة .

وبدا وجه الام يظهر بوضوح .. رويداً .. رويداً .. بعد لحظة . نطق بهمس ضعيف : أمي .. أين انا ؟.. واجابته وهي لم تزل تمسح الجبين الملتهب : في غرفتك يا بني ..

واستند عليها يريد الوقوف ، فشعر كأنه محطم الاوصال . كأن أعضاءه قد انفصلت عن بعضها .

واسرعت . فمدت له الفراش .. واستلقى كأنه سكر في اللحظة ذاتها .. وراح يغط في نوم عميق .

وفي ثلاثة ايام متواصلة ، لم يستطع ان يتحرك ، كأنه يضع على كاهله كل جبال الارض « لا احد من الصحاب كلف نفسه السؤال عنه .. لو استطاع ان ينفذ فكرة الانتحار .. اتراهم يخرجون لتشييعه . ؟ »

وضحك من فكرة الانتحار .. وتصور كيف خطرت في باله .. فغرق في الضحك الممزوج بالألم « لقد تمنيت حتى الموت .. ومع ذلك لم استطع الحصول عليه .. لا يمكن لانسان ان يعاكس قوة الاقدار » .

وفي اليوم الرابع ، جر نفسه الى السوق كالعادة ، ثم عاد الى الدكان والناس لم يفيقوا بعد ، وبدأ يصف الفاكهة ، الفاكهة القديمة أصاب أكثرها العفن .. فقذف بها في سلة منزوية .

ومرت الصغيرة كعادتها ، ولم يصدق عينيه عندما رآها تتجه نحوه ، والقت تحية الصباح « آه .... ما اعذب صوتها » ولم يستطع الا أن يهز براسه ، وطلبت منه بربع ليرة تفاحاً ، فأسرع ينتقي لها أفضله ، واعله وضع لها أكثر بكثير من الربع ليرة .. وسألته عن الغيبة ، فلم يصدق ما سمع ، واجاب : مريض .. فسمعها تقول برقة اذابته : الحمد لله على العافية ، ولما شكرها متلعثماً ، انحدرت تمضي في طريقها .

وكاد يجن من السعادة التي غمرته « هل بدأ القدر يمد له يده مصافحاً ... امنياته الضائعة .. هل بدأت تعود اليه .؟ هل يمكن للايام التي تمر .. ان تخبيء لنا من الحوادث ما لم نأمله فيها على الاطلاق ؟ .. »

أتراه يظل في حياته الرتيبة المملة الى الابد ؟ ام ترى ايامه قد بدأت تتحول ، وانه سيتكلم كالصحاب ويقول لهم : لي فتاة .. كما لكم .. سأتزوجها ..

وتمر ايام ، كالعادة في رتابتها ، وتعود الصغيرة تمر ايضاً كعادتها ، ويلمح في عينيها اللامبالاة كالايام السابقة . أصبحت تمر دون التفات نحوه .. دونما شعورها بهذا الذي يتألم لأجلها .. ويجد حياته فارغة دونها .. يا لحياته .. لكأنها بدون معنى ..

وشعر آنذاك بحاجته للبكاء .. فأدار وجهه نحو الجدار واخذه بين كفيه وراح ينتحب .

* * *

يذكر كل هذا جيداً .

ثمة شيء الآن يخنق قلبه ، وقدح الشاي يرتجف بين يديه « امنياتي ضائعة .. حياتي لا معنى لها .. ولكن . علي أن اعيش .. »

دمشق : ياسين رفاعية

من « جمعية الادباء العرب »

الطائر العائد

شعر : نديم محمد



تململ في اعين الجاهلين سؤآل ... فيبدهني حائرا
اللشاعر الدل ان يجعلوه نبياً على أمرهم ظاهرا
اذا استكبرت معجزات البيان وجل النبي استوى شاعرا

ودامي الجراح اذا هجته تغنى فكان اللظى هادرا
له النسب الحر لا باهتاً وراء الظلال ولا ضامرا
ألح على قلبه سائلا وشد على جرحه عاصرا
فأعطى وروى اعز الجنى واغلى الفدى ساخياً ناصرا

روى مضجع الشمس في عينه حكايا المنى رغداً هامرا
فلم عن الحلم اجفانه وضج الاباء به ثائرا
كفى العربي سري الاباء واكرم به نسباً طاهرا
ايغرقه في الهوان النعيم فيفضي على ذله صاغرا ؟ !
وجنت قواف ويسكر لحن فيجري بهن دماً فائرا
قصائد راعفة باللهيب هوادر لا ترهب الصافرا
فما انسكب اللحن الا سقى غليلا على ضلعه زافرا
ولا رهجت ساحة لم يفض على رهجها لهباً زافراً
تنام الكلوم على جمرها ويبقى مهدهدها ساهرا

تهادر في الجو غيظ الرياح فمر على غيظها طائرا
وهز جناحيه نحو النجوم وشق بها دربه عابرا
عزيز على النسر وطء السفوح وقد ألف الراسخ العامرا

نسيت محاضير عيني وكنت لطائف غمضتها ذاكرا
غريبين كنا وراء البحار اخاً هاجراً واخاً هاجرا
اما وهوى الأرز والغوطتين يميناً حلفت بها جاهرا
ذكرنا ولم ننس أرض الجدود ولم ننس حياً ولا سامرا
ولا ريفنا ملعب الساجعات ولا الحفل والسنبل الفاخرا
ولم يخفض البغي منا جناحاً تصعد مستعلياً زاجرا
ولا غض ناظرنا للقوي ولو غض نفقأه ناظرا



اخ في الجراح شكانا الحديد ولا نشتكي حره الساعرا
ومن يتقي عثرات الحظوظ فلا نتقي حظنا العاثرا
فنحن الرياحين يغلونها ويرمونها .. حطباً خاسرا
ونحن مصابيحهم في العشي ويطفئها صبحهم سافرا
ونطعمهم حب اكبادنا ويأكلنا جوعهم كافرا
خطونا على شوكهم فاستراح على شدقه دمنا ساخرا
وكم شربوا دمعنا المشتهى وكم نشقوا آهنا العاطرا
نرف خطاهم عبيراً وظلا وغيماً على زرعهم ماطرا
وهم بنا بطشهم فانبرى له عزمنا مازقاً ناثرا

يقولون عنا أسارى الخيال فهل جربوا منعنا الظافرا
وهل عرفوا الله الا بنا وهل كان الا بنا فاطرا

في قلبنـــا رحمـة وشئنــاه في روحنا خاطــرا
م الحســن أن يزدهـــي ونمنمــه القاً طــافرا
ـ للروح في النــاي . . خمراً ومن جعل الباهر الباهرا
الذوق . من كوّن الحسن وسوى وأسمى الهوى غافرا
ـور الحـق حقـاً فأمسى واضحى بنـا ربـه قادرا
ـذين صنعنا الحيـاة وصغنا القـوى نغمـاً ساحرا
حار ونرقـى الكواكب جهـداً ، يذمونـه ، بائــرا
ـدم عـزاً يطـول وملـكاً علـى اهلـه جـائرا
العيش خلف التــراب وقــد غصبوا عيشنا الوافرا
ن آينـا . . . مطرفـين بأحسانها الأحمـق الهـاذرا
اوجـوه بأقلامنــا فمـال مصعرهـــا . دائــرا
البقـاء ضياعـاً وفقـراً وجرا على جرحـنا صاهـرا
رنـا لـه الغاليـات فأرخصنا جاحــداً ناكــرا

متـاه الجـراح الرهيـب دماً ثائراً وفماً باسمـا
طـن حقــه أن تخـل على نـاره كاسيـاًطاعمـا
ـه البغـي ناب الحديـد فألقمتـه عزمـك الصارما
ما رغت في العاديـات ولا كـنت عـن بأسـها نائما
ـك الحـوالي الرطـاب فطوفت في ظلهــا حالمـا
رحبـك سحر البيــان فرعت بـه الحلـك الجاثما
مـلاحم تزأر فيــه شراراً وسيـلا تهـدره عـارمـا
واومـن بالشعر ناراً واحرق وجهـي على جرهــا ناعماً

بلادي احبــك نصـلا تغور . . . . في اضلعي ودجى قاتمــا
احبـك يعرى ويـدمى جنـاحي على السـفح مرتمياً راغمـا
احبك ضعفـاً يهــد سـلاحي وفقراً على مـوردي حائمـا
احبـك موتـاً . . . كفى أن تعيشي ويبقى هـوى أمتي سالمـا



اخي في متـاه الجراح الرهيب فماً باسماً وندى غـامرا
دعـاك الى صـدره مثخن ينهنـه من دمــه صابرا
يحن ثراه الى شمخــة يـدل بها مائجــاً مـائــرا
فأنزلــه الحب في اهلــه وكـان الهــوى قادراً قاهــرا
خبرت فحدث عن الغادريـن حديثـاً يرد الصبى حـاضرا
فأبصر كيف استطال الظــلام ونمش دجـاه الضحى الزاهرا
وكيف تمعي الذئاب الدمـاء وتروي بهـا النهــم الفاجرا
وكيف تروع الأمين الوديـع ولا تبــدد الهائـج الكاسرا
فـكم خضب الغـرب احقـاده بآلامنــا ظالمــاً آشــرا
واخرس بلبــل اعراســنا وغنـى لنـا خاتلا مـاكــرا
وكـم لطـم الزهـو في صبحنـا وقنعــه زائفـاً سـادرا
وقطـع أثوابنــا في الظــلام ولملم اذيالــه سـائــرا
فهـل اقعـدت ربـوة صاعـداً وهـل كبحت لجة ماخرا ؟ !
يميناً بأسمرنــا لـن نكف عــن المـوت أو نسحـق الغادرا
بلادي ويكـرمني باسمهـا ندائي . . . فأرجعـــه شاكرا
فطرت على حبهـــا اغنيات هي الخمر من كبـدي قاطــرا
اسلسلهـــا عبقـاً سـافحاً مرقرقـه . . . ذاريــاً ناشرا
وحينـاً افجرهـا عاصفـاً يجلجل في سـاحها زائــرا (*)
وتنزف حينـاً دمـاً يتهـادى على وردهــا خاضباً هافــرا
فلا سـلمت رافـة في الجهــاد ولا مشربـاً في العـدى فاترا
بـلادي احبـك لا زاهيـاً بيسري ولا رهقــاً حــاذرا

ندیم محمد

٥٩/٦/٤

(*) من الزئير.

الشاعر فرحات في رباعياته

بقلم: سعد صائب

ماعرفت شاعراً عربياً معاصراً عبر عن وجدانه وعواطفه، وصاغ تجاربه الخاصة في رباعياته كالشاعر « الياس فرحات » وان قارئه ليتملكه الاعجاب من اجتماع الملكتين اللتين تكونان الشاعر، وهما ملكة الخيال، وملكة الاحساس، يرفدهما عقل نير واع يعتمده الشاعر في ابداع الصورة التي يرسمها، وتجلية المعنى الذي يضفيه، ومميزته انه لا يتصنع اسلوباً من أساليب الشعراء الذين اصطنعوا « الحكمة » في اشعارهم، ولا يمثل عباراتهم او يقلدها او يحاكيها او يسلكها في شعره، بل نراه يترجم ترجمة صادقة احساسات نفسه، وخلجات وجدانه، ويعبر عن هذه الاحساسات وتلك الخلجات في سهولة ويسر، ودقة ووضوح. ولهذا نرى في الآراء التي نثرها في « رباعياته » وفي نظرته الى الحياة، ودعوته الصادقة الى التأمل فيها « جمالية العمل الفني » التي لا بد من توفرها لدى الشاعر الاصيل، ولئن فسدت هذه الجمالية لدى غيره من شعراء الحكمة فلأنهم جسموا « الجانب العقلي » في شعرهم وتناسوا في كثير من الاحايين جماليته، اما شاعرنا « فرحات » فقد ازدانت جمالية شعره اذ صور لنا الحالات التي خلقت عنده « التأمل العاطفي » بكل ما فيه من شفافية وايقاع وغنائية، وبكل ما فيه من نعومة جرس، وحلاوة اداء!..

ولعل من مهمة الشاعر الحكيم ان يصور لنا اخلاق عصره، وينقل السمات التي تبرز ملامح مجتمعه، وبذلك تتجلى الرغبات والميول في تصعيدها وانحدارها، وفي انطلاقها وكبتها، وتظهر الخطوط الرئيسية في الصور التي استمدها الشاعر من واقعه، وكشف عن حقيقتها.. وتلك ولا ريب معاناة لا يقدر عليها او يتصدى لها الا الشاعر الموهوب الذي ارتفع بعواطفه وسما بارادته، والذي يحاول ان يشرح لقارئه رضاه وسخطه، ويتكلم عن فرحه وحزنه، ويكشف عن النماذج البشرية التي يلقاها والتي يغاير سلوكها سلوكه، وتتنازع عواطفها وميولها المتباينة مع عواطفه وميوله او عواطف وميول الآخرين، وبالتالي يرسم شخصيات الافراد الذين يبادلهم عاطفة بعاطفة، ويقاسمهم ما هم فيه من بؤس وآلام، ومن فرح وترح. وهذا ما صنعه الشاعر الفذ « الياس فرحات » في « رباعياته » انه وضع أمام اعيننا ليس تاريخه النفسي وانفعالاته وضروب حياته التي عاشها وما لاقاه في هذه الحياة فحسب، بل وضع امام اعيننا (مجتمعه) ونزعات هذا المجتمع، وقيمته الاجتماعية والاخلاقية، ولم يمسخ البته العلائق التي تربط اناس هذا المجتمع بعضهم ببعض، بل ظل محافظاً اشد المحافظة على الامانة الادبية، لانه رآها امراً ضرورياً للشاعر الحكيم الذي يعنى بتصوير الحياة، ورسم التكوين الخلقي للفرد، ووصف الالوان الحقيقية للانسان!..

وليس عجيباً ان يكون الشاعر حكيماً لأن من وظيفة الشعر « التعليم » و « الى عهد ارسطوفان كان مقام الشاعر في المجتمع هو مقام « المعلم » نجد هذا مفصلا في كوميديا « الضفادع » لارسطوفان حيث يقول لنا اسخيلوس الشاعر وهو احد اشخاص المسرحية في حوار خيالي ان الصلة بين الشاعر والجمهور الذي يخاطبه تشبه الصلة بين المدرس بفصل من التلاميذ، كذلك نجد يوربيد في ذات النص يقيس فضل الشاعر بمقدار ما « يهذب الناس في المدن ويرقى بهم » كما أن في السياق نفسه ما يدل على ان هذا الراي كان الراي الشائع عند الاغريق، وفيه وردت اسماء اورفيوس، وموسأيوس، وهسيود، وهوميروس على انهم شعراء معلمون » (١). كما نجد الشعراء المعلمين في مختلف العصور التي مرت بها امتنا، ويتجلى دورهم في انهم استقوا حكمتهم من تجاربهم في الحياة التي عاشوها. فثمة العصر الجاهلي وقد عالج اغلب شعرائه اخلاق مجتمعه وعاداته، وصور الذات وما تنطوي عليه في

---

(١) « فن الشعر ــ لهوراس » ترجمة لويس عوض ص٢٥ــ٢٦

ذلك المجتمع « فبدت لنا الفلسفة الجاهلية ـ من خلال شعرهم ـ فلسفة اخلاقية عملية ، بعيدة عن الماورئيات ، فلسفة مادية روحانية ، وفي روحانيتها مسحة اخلاقية كريمة » فهذا « أكثم بن صيفي » المولود عام ٦٣٠ م الذي يقول :

من استنام الى الأشرار نام وفي
قميصه منهم صل وثعبان

وزهير بن ابي سلمى الشاعر المشهور المولود عام ٥٣٠ الذي يقول :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ولبيد بن ربيعة المولود عام ٥٦٠ م الذي يقول :

وما المال والأهلون الا ودائع
ولا بد يوماً ان ترد الودائع

وطرفة بن العبد « وهو الشاب الذي انهالت عليه المصائب فابرزت شخصيته وانطقته بالحكمة التي نثرها في ديوانه ، فكانت مصبوغة بصبغة الوعي والحنكة » وقد قتل ولما يبلغ السادسة والعشرين من عمره (عام ٥٤٣ ـ ٥٦٩ م) وهو القائل :

الخير خير وان طال الزمان به
والشر اخبث ما اوعيت من زاد

واذا ما تخطينا العصرين اللذين اعقبا الجاهلية وبلغنا العصر العباسي وعصر الانحطاط نجد ان ثمة شعراء برزوا في الطليعة واشتهروا بالحكمة ، فهذا ابو العتاهية الشاعر الزاهد الذي يقول :

اسلك بني مناهج السادات
وتخلقن باشرف العادات

وابو تمام شاعر المعاني الذي يقول :

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

والمتنبي وقد بدرت حكمته من نفسه وتجاربه والهامه وهو القائل :

ولذيذ الحياة انفس في النف
س واشهى من أن يمل واحلى
واذا الشيخ قال اف فما مل
حياة وانما الضعف ملا

وابو العلاء المعري « وهو الشاعر الكفيف الذي انكفأ في ذاته على الوجود يتفهمه ويحلله من خلال ظلمة عماه ، وان في شعره حكماً كثيرة ونظريات واسعة النطاق » (١) وهو القائل :

قد فاضت الدنيا بادناسها
على براياها واجناسها

وكل حي فوقها ظالم
وما بها اظلم من ناسها

وليس من شك في ان مصدر الابداع في حكمة شعرائنا يكمن في انهم خبروا الحياة خبرة واسعة وعجموا عودها ، وان القلق النفسي المتزايد ، واستغلالهم موهبتهم الشعرية وادراكهم عن طريق التجربة الحياتية تارة ، وعن طريق الحدس تارة اخرى ، قد عمق فيهم المعرفة ، وقوى الاحساس ، ومكن فيهم نشدانهم المثل الاعلى فابانوا ـ بحكمتهم ـ عن تأثرهم ، وافصحوا عما يتملكهم من اسى على مايبدو من طبائع الناس ، وما يظهر من متناقضات الحياة . . .

وشاعرنا « الياس فرحات » قد جدد للحكمة العربية شبابها ، بما تحتويه « رباعياته » من احساس عميق تختفي وراءه نزعة قوية لاذعة من السخرية تتناول المجتمع الذي واجهه ، والواقع الذي اتصل به اتصالا وثيقاً وهو القائل في المختال المتكبر :

رويدك ايها المختال كبراً
فهذا اليسر قد يتلوه عسر
وايس المجد في مال وجاه
ولكن النهى للمجد جسر
وان الحاسرين لديك ذلا
جميع حياتهم ذل وحسر
صغار اكبروك وليس بدعاً
فان الزيز بين النمل نسر

كما يختفي وراء احساسه تشاؤم يسوده حزن مكبوت، وتتغشاه نظرة فلسفية تحاول أن تبرز هذا التشاؤم الذي لا يلائم طبيعة الشاعر ، ولا يوائم ما تفيض به روحه من تطلع الى الحياة والسمو فوق الحقيقة المرة ، والارتفاع الى عالم اسمى « حيث يكون الاحساس متأثراً في رفق ، والخيال مهتاجاً في نظام ، والعقل في تمام الرضى » ولنستمع اليه يصف نفسه واثر الزمان في صقله :

مشيت على بساط الارض فرداً
واشواك الحوادث كالحراب
فهذبني الزمان وادبتني
نوائبه وعلمني اغترابي
اقول متى اجتمعت بمن توفوا
وقالوا ما رايت على التراب
رايت حقيقة وسمعت وهماً
فاغناني الشراب عن السراب

هذان لونان من الوان سخريته وتشاؤمه استطاع فيهما ان يبرز لنا طابعه وبالتالي موقفه من « بعض الناس » في زمانه ، ومن زمانه ذاته ، وثمة الوان اخرى تزخر بها « رباعياته » تبلور « حكمته » وتجلو « تأملاته » . لنتمل هذه الصورة الرائعة التي رسمها لنفسه وهو يبحث عن انسان ذي احساس فلا يجده وكأنه « ديوجين » يحمل قنديله في رابعة النهار يفتش عبثاً عن الفضيلة ، ولكن شاعرنا لا ييأس كما يئس « ديوجين » لأن ثمة بصيصاً من رجاء ينير طريقه :

لولا بصيص رجاء في النفوس لما
راقت لذي ادب في موطن كاس

---

(١) «الحكم والأمثال» لحنا الفاخوري ص٦١

يلقى الألوف من المستحجرين ولا
يلقى ولو جند فرداً فيه احساس
بعض النفوس نسور كلما جنحت
للجو شدت على أعناقها الناس
فالعلم والحق والانصاف أجنحة
والجهل والبطل والأجحاف أمراس

ولننظر الى هذا التبرم والذعر اللذين يلقانا بهما الشاعر ، وقد احس بأنه اوذي في ضميره الانساني ، وهو يتطلع الى الذين استباحوا كل شيء في سبيل المال ، فباعوا عزتهم وعرضهم ودينهم ودنياهم من اجل الحصول عليه وتكديسه ، مشوهين بفعالهم جمال الانسانية ، مصغرين من شأنها ، فنراه يبكي عليهم في شعره مشفقاً راثياً لحالهم وهم عنه معرضون :

حولي من الناس اموات وما برحوا
يمشون كالناس من دار الى دار
ابكي عليهم بأشعاري فتضحكهم
مع ما تثير من الأشجان اشعاري
قوم يبيعون للشارين عزتهم
والعرض والدين والدنيا بدينار
لا يفرقون اذا اثروا اكاللهم
تاج من الفار أم تاج من العار

ولنستمع اليه كيف يبدع في هذه الرباعية في تصوير الجشع ، ويفاضل في عاطفة ثائرة بين الذئب وهو يترك شيئاً للجائعين من الذئاب بعد ان يشبع ، وبين الانسان المترف البشم الذي يجور على اخيه البائس فيسلبه ما جمعه :

المرء شر سباع البر قاطبة
خبثاً وشر تنانين البحار معا
قولوا عن الذئب ما شئتم فسامعكم
بمثل غدر ذئاب الناس ما سمعا
الذئب يترك شيئاً من فريسته
للجائعين من الذؤبان ان شبعا
والمرء وهو يداوي البطن من بشم
يسعى ليسلب طاوي البطن ما جمعا

ولنرعو بهذا التحذير الذي يحذرنا به الشاعر من اغراقنا في تقليد الغرب وطغيان حضارته علينا بما فيها من محو لتقاليدنا ، وافساد لعاداتنا واخلاقنا ، وكأني بشاعرنا « فرحات » ذاك العالم الاجتماعي الذي يعرف ما يناسب طبيعة كل امة من عادات وتقاليد ومن أخلاق ومثل ، ومن اذواق ومظاهر ، فنراه يثور لضعفنا ويغضب من انعدام شخصيتنا حيال الغرب ، وخضوعنا خضوعاً أعمى له وتشكلنا بشكله تشكلا كاذباً :

للغرب في الشرق عادات مقدمة
كانت وما برحت اولى بتأخير
لا تتبعوها فكم من زهرة حسنت
في الناظرين وساءت في المناخير
يا ايها الناس ان كانت ضمائركم
تأبى الخداع وما ترضى بتسخير

الشاعر الياس فرحات في سطور

* ولد في كفر شيما بلبنان عام ١٨٩٣ ولم يتم تعليمه في مدارسها الاولية .

* في عام ١٩١٠ هاجر الى البرازيل واشتغل بالتجارة والطباعة وعمل بالصحافة .

* شارك بقلمه منذ فجر حياته في العمل على تحرير وطنه من الاستعمارين التركي ثم الفرنسي .

* بدأ بالزجل ثم حاول الشعر فنجح فيه نجاحاً باهراً ، وهو من العصاميين الذين تتلمذوا على انفسهم

* أصدر في عام ١٩٢٥ أول انتاجه « رباعيات فرحات » وفي عام ١٩٣٢ أصدر جماعة من المهاجرين ديوانه الثاني « ديوان فرحات » وفي عام ١٩٤٧ ظفر بجائزة من المجمع العلمي المصري ، وفي عام ١٩٥٢ أصدرت مجلة الشرق في البرازيل ديوانه الثالث « أحلام الراعي » وفي عام ١٩٥٤ تألفت لجنة من كرام المهاجرين فاعادت نشر شعر فرحات في اربعة أجزاء .

* أسهم بشعره الوطني الملتهب في جهاد الوطن العربي ، وهو من شعراء الوطنية ودعاة الوحدة العربية .

قولوا لكل اب في الشرق محترم
ان المراقص ابواب المواخير

هذا غيض من فيض مما تضمنته « رباعيات » شاعرنا الياس فرحات ، بدا فيها بارع التصوير لمجتمعه ، يقتبس منه ما يصوغه في حكمه ، وما يتغنى به في افكاره وآرائه وتأملاته ، في واقعية وتركيز ، وفي اسلوب شعري سهل ممتنع واضح ، وفي صياغة موزونة مقفاة ، وفي تعبير موسيقي يعج بالصور ويمتلىء بالألوان ، ويفيض بالدفء ، ويزخر بالنغم الحلو وكأنه النبع العذب الذي يأتيك خريره خافتاً ناعم الجرس حيناً ، ومتدفقاً قوياً عنيف النبرة صاخباً جياشاً احياناً ، فيثير فيك الأحاسيس والمشاعر ، ويهيج الخيال ويقسرك على الاستماع اليه ، والاستمتاع بفنه في رضى واستسلام . ومبعث هذه الروعة التي نلقاها في رباعياته ان شاعرنا ابن التجربة ، هذبه الزمان ، وادبته نوائبه وعلمته غربته ، فوعى الحياة وهو بعد في فوعة شبابه ، فجاءت صوره الشعرية وتأملاته صادقة تحكي الحقيقة ، وترسم الواقع كما تعكسهما روح الشاعر الثائرة الفائرة . روحه التي وجدت نفسها .

بعد ان تطهرت بالتجربة .

فانثنت تتعبد في محراب الحق والخير والجمال ، وهي نقية انقى ما يكون النقاء ، طاهرة أطهر ما يكون الطهر !...

دمشق **سعد صائب**

الحرب الطبقية والتقدم الاشتراكي

بقلم :
غسان كنفاني

يفهم الماركسي من العمل النقابي أنه تنظيم الكراهية الطبقية ، وشحنها المتواصل ببذور التمرد العنيف حتى تستطيع بواسطة **العنف وحده** احلال ديكتاتورية البروليتاريا التي قال عنها « لينين » انها مرحلة مؤقتة ضرورية من أجل احلال مجتمع شيوعي ، بلا حكومة سوى ما تؤدي اليه مصالح الانتاج المشتركة ...
نقول **العنف وحده** ذلك ان « العنف » هو أهم ما في التفسير اللينيني الماركسية وهو الذي اعتمد من اجل « فرض » الاشتراكية العلمية تحت راية ديكتاتورية البروليتاريا — **التي تبدو أنها ليست مرحلة مؤقتة فحسب بل صفة ملازمة للاشتراكية العلمية نفسها كما تطبق الآن** — والعنف اللينيني ليس طارئاً على الماركسية كما يحاول مفسرو المؤتمر العشرين ان يقولوا ... بل انه أساس من الأسس الاربعة التي يعتمد عليها الديالكتيك المادي كصفة ملازمة للتغير الكيفي . . . ذلك ان تغير المجتمع من حالة طبقية الى حالة لا طبقية ليس تغيراً كمياً كي يعتمد التطور الطبيعي ، بل هو تغير جذري ، كلي ، أي كيفي ... والعنف هو صفة ملازمة لمثل هذا التغير .

شحن النقابي أولا ، ثم المجتمع ككل ، بالكراهية الطبقية هو اذن المنهج التقليدي للعمل الماركسي ... والمؤتمر العشرون للحزب الشيوعي الذي انعقد في موسكو عام ١٩٥٦ والذي تنازل عن (التقليدية) و (النسخ الحرفي) بأقصى ما يمكن من السطحية ، معرضاً الماركسية السنية ذاتها الى تقد عنيف من قبل الملتزمين النظريين ، لم يستطع ان يحرز اي مد عملي في سلوك الاحزاب الشيوعية في الشرق خاصة ، ذلك لانها كانت على يقين ، او على شبه يقين ، بأن هذا التنازل كان منسجماً كل الانسجام مع مبدأ (الغاية تبرر الواسطة) . والذي قدم هذا التفسير كان خروشوف نفسه حين تعجب من ان الاحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية بدأت تنحسر ، وبأن اليمينية بدأت تقدم الناس طمأنينة اشد ، وطرازا من التفكير يقدم حلولا أقل ضبابية ..

على أن حديث (الغاية تبرر الواسطة) في تاريخ الحزب الشيوعي حديث طويل ، والحزب الذي يخضع جيلا كاملا للتجربة كي (يتفرج) بعدها على النتيجة ، هذه النتيجة التي ليست سوى مقامرة غير انسانية — بغض النظر عن النتائج التي حصلت عليها اليوم والتي كان من الطبيعي أيضاً وبنفس المقدار الا تحصل عليها — ان مثل هذا الحزب يستطيع أن يعتمد مبدأ (الغاية تبرر الواسطة) بكل سهولة وعدم اهتمام ... ومن الطبيعي أننا لسنا في طريقنا للخوض بمثل هذا الموضوع الطويل ، فالدخول الى نفق بلا نهاية ليس من الامور المستحبة تماما وخاصة على صفحات مجلة شهرية ولكننا نريد أن نطرح السؤال الذي يطرحه عادة الماركسي السني ... وبنفس الحماس تقريباً :

« — لماذا لا تعتمدون الحرب الطبقية ، أنتم أيها القوميون العرب ، كوسيلة من أجل احلال الاشتراكية ، التي تريدونها ؟ .. ان هذه الحرب قد نجحت في احلال الاشتراكية في روسيا ، ونجحت — مع قصائد ماوتسي تونغ وابتساماته — في الخطو أولى الخطوات في هذا الطريق الطوبائي ... وهي تعتمد حالياً في المناهج الاشتراكية اليسارية في أوروبا الغربية ؟ »

ان هذا المطلب الموضوع في هذا السؤال الاخلاقي ، يلخص بصورة مدهشة السبب الرئيسي لفشل الاحزاب الشيوعية في الشرق العربي طوال السنوات الطويلة الماضية ... ويعطينا سبباً من الاسباب التي جعلت المسؤول الشيوعي عن الكوموسمول المنعقد عام ٩٥٢ في موسكو يقول في تقريره عن الشيوعيين العرب انهم يتمتعون بسطحية لاحد لها فى فهم الماركسية وانهم اسوأ شيوعيي العالم على الاطلاق ... الا يحق لنا نحن ، مواطنيهم الذين نعرفهم جيداً ، ان نعقب على ذلك بأنهم لم يستطيعوا أيضاً ان يفهموا أمتهم ووطنهم على الاطلاق فأصبحوا كذلك الانسان الظريف الذي وجد نعلا فتركه ، ثم قرر الاتيان به ، فترك ناقته وعاد الى النعل فلم يجده . وحين عاد الى الناقة وجدها قد سارت ... وعز عليه اللحاق بها ؟ ..

ان النهج التقليدي للتخطيط الشيوعي يعتمد الحرب

الطبقية باطلاق لايتناسب البتة مع وقار الجدل الدياليكتي الذي لا يؤمن بأي اطلاق ... « وافتعال » هذه الحرب – **ولنصر قليلا على كلمة افتعال** – ليس فهماً لطبيعة المجتمع بقدر ما هو نقل مسرحي لتمثيلية نجحت في في مكان آخر ... ولهذا السبب – سبب عدم الانسجام في المطالب مع طبيعة المجتمع – الفى الشيوعيون أنفسهم يدورون حول أنفسهم ويقعون في سلسلة من المتناقضات تجرهم الى تقديم فصل من الفصول الاخيرة للمسرحية اللا انسانية على مسرح بغداد ..

ولكن لماذا الحرب الطبقية ؟ وما هي :

لقد قدمت اللبرالية في القرن التاسع عشر ابشع مثال عن الطبيعة البشرية الميالة باصرار متصل نحو استغلال الآخرين – رغم ان اللبرالية تدعي العكس على لسان تشارلز فرنكل – ولقد وجدت في بناء السلطة السياسية يومذاك للحكومة ثغرات واسعة استطاعت ان تدخل فيها وتوسعها الى الحد الذي ادى الى شيوع افكار اشتراكية غير منظمة استطاع ماركس ان يضعها في هيكل نهائي ، واستطاع انجلز ان يدافع عنها بجلافة نادرة ... ولقد كتب ماركس – في طريقه لوضع الهيكل العام لفلسفته – كتابه راس المال الذي يعتبره الشيوعيون الآن اطلاق الاطلاق في فهم الراسمالية فهماً كاملا ... ولكن ماركس الذي قال في اخريات حياته انه ليس ماركسيا على الاطلاق ... قد فتح طريقا واحدا أمام الراسمالية توافق فلسفته ، فجعلها تتطور باتجاه واحد فحسب ، اتجاه حتمي – لنلاحظ الحتميات في الفلسفة التي ترفض الحتميات – ينتهي الى الشيوعية رغم كل شيء حينما تتوسع التناقضات داخل البنيان الراسمالي ، ويعجز الرقع عن سد الثقوب ...

الا ان الشيء الذي غاب عن ماركس . هو ان الراسمالية قبلت التحدي ... وانها تطورت باتجاه مغاير للاتجاه المرسوم في الماركسية ... اول استجابات الراسمالية كان في ان الديمقراطية الغربية استطاعت – بعد جهد طويل – ان تدفع السلطة السياسية للتدخل في اللبرالية ... وتضع – شيئاً فشيئاً – قيود القوانين في اقدام هذه اللبرالية ، وتحقق بهذه الوسيلة تقدماً مطردا نحو مجتمع اقل تعاسة ...

اننا لا ندافع عن الراسمالية ، بل ما زلنا نعتبرها واحدة من الاسباب التي انزلت في البشرية عذاباً متصلا ... كل ما هنالك اننا نحاول ان نلغي قليلا من (قرآنية) الماركسية ...

لقد تطور التشكل السياسي للحكومات – هذه حقيقة ماثلة – ان الحكومة التي درسها ماركس قد تطورت تشريعياً ، وتشابكت مع المجتمع بصورة اكثر حدة وغنى ، وهكذا فلقد انتفى، جزئياً ، الراي القائل باستحالة الوصول الى الاشتراكية عن طريق التطور الديمقراطي ... اننا لا نملك الحق في ان ندفع الى حلوق الناس جرعات من فلسفة « اصبحت ملكاً للقرن التاسع عشر ... » كما قال نهرو .. وعلينا ان نفتش ، في هذه الحالة ، عن اكثر الوسائل انسانية من أجل اسعاد الانسان ، وان استحال ذلك ، فأقلها وحشية ... وليست الحرب الطبقية كذلك ...

ان السؤال ما زال – على أي حال – بلا جواب : « لماذا لا يعتمد القوميون العرب الكراهية الطبقية كأسرع وسيلة من أجل احلال اشتراكية حقيقية ؟ »

ان المجتمعات ذات الجذور ... المجتمعات المتحدرة باتصال من عرق حضاري واحد ... المناضلة من اجل اكتمال وجودها بنفس واحد ... المحافظة ، عبر عصور من الاضطهاد ، على لسان واحد ... المتالمة بضلوع واحدة ، ان مثل هذه المجتمعات تتمتع في تكوينها البشري بتماسك اجتماعي مذهل ... انها مجتمعات ارقى تكويناً من البربرية .. واكثر ايماناً بجدوى العلاقات الخلقية بين أفرادها من مجتمعات بلا رسوبات حضارية ... وهكذا فان الحفاظ على هذا التماسك ... وتحقيق المحتوى الاشتراكي في هذا الاطار الرائع من الوحدة المتصلة عبر القرون ، هما رسالتا الاشتراكيين الحقيقية ...

وبالاضافة لذلك كله ، فان المجتمعات الزراعية مجتمعات خالية من الحس الطبقي بطبيعتها ولهذا السبب ، اغلب الظن ، اعتبرت الماركسية الفلاحين « بورجوازيين صغاراً » لا يصلحون كالعمال للثورة الطبقية ... فعلى أي اساس اذن ، نريد أن نشحن المجتمع بالكراهية الطبقية وهي غير موجودة اصلا ؟ ان هذا الكلام لا يعني الحفاظ على الاوضاع الاقطاعية – فيما لو وجدت في أي مجتمع زراعي – على حالها ... ولكنه يعني أن وسيلة من الوسائل لا تصلح لتطوير هذا المجتمع ... وان علينا التفتيش عن وسيلة أشد تماساً مع طبيعة التكوين المادي ، والخلقي لهذا المجتمع ...

لقد وقع (شوآن لاي) في مؤتمر باندونغ على قرار المؤتمر بأن حضارة المنطقة مبنية على اساس روحي ... فهل كان (شوآن لاي) يعرف أي طعن فلسفي يرتكب بحق الماركسية وتفسيرها للتاريخ وتحليلها للمجتمع ؟ .. أغلب الظن ان مؤتمر باندونغ قدم لشوآن لاي نموذجاً ، بل نماذج ، من الشعوب التي تقوم حضارتها الخلقية الآن على أسس روحية – بغض النظر عن كونها صحيحة فهي موجودة ومؤثرة – فهل من المنطقي ان نقيم علاقات المجتمع ، من جديد ، على اسس مادية ، ناسفين ، في لحظة واحدة قروناً طويلة طويلة من الجذور الانسانية المتينة ؟ اليس من سبيل آخر اكثر انسانية وجدوى ؟

بلى ... لقد نشر اتحاد الاشتراكيين الانجليز قبل عام بيانه الموحد معترفاً فيه بصراحة مدهشة بأن التطور الاشتراكي في بريطانيا لم يرفض على الاطلاق في برنامجه التطبيقي النظرية القائلة بامكان التطور من الداخل ... وكلنا يعرف جيداً بأن الاشتراكية في بريطانيا قد استطاعت ان تخطو خطوات رائعة دونما حاجة لاعتماد ديكتاتورية البروليتاريا الشيوعية ... وبالاضافة لذلك ، فلقد استطاعت المشاريع الاشتراكية في بلدان اوروبا الغربية ان تخطو الى الامام بفضل التكوين النفسي ، والثقافي ، والاجتماعي لشعوبهم ... فيما عجزت

البقية في صفحة « ٣٣ »

الآثار الفنية في بناء الاونسكو الجديد

بقلم : عفيف بهنسي

مدير الفنون التشكيلية والتطبيقية

منذ شهور ، افتتح في باريس بناء الاونسكو الجديد ، وهو يقع خلف المدرسة الحربية ، اي على خط مستقيم مع حديقة مارس وبرج ايفل وبناء قصر شايو . وقد اتيح لي ان أكون من بين الذين زاروا البناء الجديد في بداية أيام افتتاحه .

ولقد احدث بناء الاونسكو ضجة كبيرة في جميع الاوساط اذ اعتبرت طريقة بنائه ثورة في تاريخ هندسة البناء في باريس ، نظراً لمخالفته جميع قواعد الهندسة التقليدية واتباعه أسلوباً معمارياً خاصاً يستند الى اتجاهات المدارس الحديثة في باقي الفنون التشكيلية . واعتبر بعض النقاد ان اقامة بناء دولي في قلب باريس ، يعتمد على اصول متطرفة في هندسة البناء ، مما يشوه طابع المدينة الذي يتصل بتاريخ عريق في فن العمارة الكلاسيكي . ورأى فريق آخر ان اقامة هذا البناء معناه تثبيت الاتجاه الحديث ، واعتراف رسمي دولي بالمعنى الجديد الذي تتضمنه الفنون التشكيلية .

غير ان ما اريد أن أقصر الحديث عنه الآن ، هو الآثار الفنية التي زينت هذا البناء ، واثارت اكثر من مشكلة ، واهم هذه المشاكل ، مشكلة التجريد في الفن ، ومشكلة التعبير القومي ، ومشكلة المضمون ، ومشكلة الوحدة والانسجام وغير ذلك من المشاكل .

والآثار الموجودة في بناء الاونسكو هي لوحات جدارية ، ولوحات زيتية ورسوم على الخزف (السيراميك) ونحت وحفر نافر .

وأول ما يطالعنا من الآثار لوحة بيكاسو الجدارية ، وهي لوحة كبيرة يبلغ ارتفاعها ثماني امتار وعرضها عشرة تقريباً وهي بشكل شبه منحرف ، وقد رسمت على قطع خشبية مستطيلة ، واللون الغالب في هذه اللوحة الازرق السماوي ، وموضوعها خمسة أشخاص عراة بأوضاع مختلفة رسم كل شخص بخطوط خاصة وبألوان موحدة . والصورة تبدو بمنتهى البساطة وهي تحمل آخر تطورات الفن عند بيكاسو .

ولقد توقع النقاد ان تكون لوحة بيكاسو قفزة عبقرية من قفزاته الكبيرة التي تمثلت بصورة خاصة في لوحتيه الكبيرتين غارنيكا ، وحرب وسلم . ولكن هذه اللوحة رغم أهمية مقامها في دار دولية قد تصبح مع الزمن أثراً تاريخياً هاماً ، فانها تبدو بسيطة سهلة فيها من الاختزال والرمز ، أكثر مما فيها من الدراسة والجهد .

وفي قاعة الاجتماعات الصغرى علقت لوحة للفنان المكسيكي (روفينو تامايو) وهي ذات ألوان حمراء قاسية أضعفت من أهمية الخطوط والرسم وطغت على مجمل اللوحة .

وفي طابق المقاهي من بناء المكاتب الادارية ، يوجد ثلاث لوحات كبيرات ، واحدة للرسام الهولندي (كارل آبيل) وهي لوحة تجريدية عنيفة هائجة ، تبدو وكأنها تمثل اعصاراً وحشياً يكاد يهدد مصير الانسانية ، وفي اعتقادي ان هذه اللوحة تبتعد بمعناها الذي تعبر عنه بالمساحة اللونية الفائرة وبالحركة الطائشة المجنونة ، عن الهدف الهادىء السلمي الذي تتجه اليه مؤسسات هيئة الامم . هذا اضافة لعدم انسجامها مع طريقة البناء التي ، اذا كانت طريقة حديثة فانها طريقة جذابة ومريحة .

واللوحة الثانية هي للرسام الايطالي (أفرد) وهي لوحة جدارية كبيرة تغلب عليها الالوان الشفافة المعدنية ، واللون الاسود الحيادي ، وتعتبر هذه اللوحة من انجح اللوحات المعروضة .

ان (أفرد) في هذه اللوحة ، كما في جميع لوحاته ، يتجه اتجاهاً شخصياً محضاً وهو يعارض بذلك ، (بيت موندريان) والمدرسة الهولندية التجريدية ، التي اعتمدت أصولا وقيوداً خاصة في التجريدية . وافرد يرتكز في رسمه الى عفويته الخاصة للتعبير عن تناغم شاعري داخلي . ولقد اعجب أكثر الفنانين والزائرين بلوحة افرد واعتبرها البعض أحسن اللوحات الموجودة على الاطلاق .

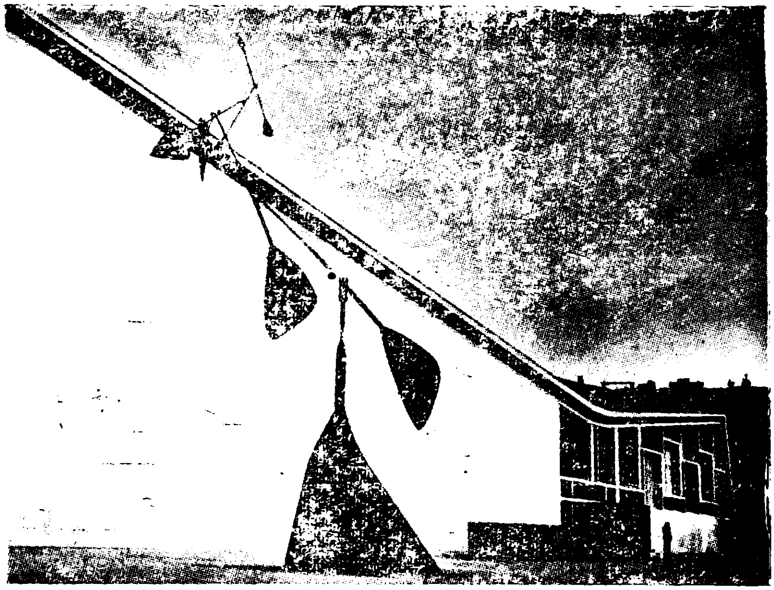
وهناك لوحة ثالثة للفنان الشيلي (روبرت ماتا) وهي لوحة كبيرة ، يغلب عليها اللون الازرق وتعتبر من اللوحات الضعيفة .

واهم ما يزين الساحة الداخلية الواسعة ، جدار حجري

بارتفاع مترين وعرض عشرة امتار عليـه من الجانبين ، رسـوم للفنان الاسباني المعاصر (جوان ميرو) . ولقـد لخص جوان ميرو في هـذه الرسوم طريقته الزخرفيـة المأخوذة عن التوريق العربي ، والتي تعبر عن روح ومعنى اسبانيا كما قـال همفوي مرة ، واللوحة تتضمن أشكالا جد طفولية وساذجة ، وجد مجردة مبهمة . ولكنها مـع ذلك تشيع نوعاً من الفرح الهازل وتعبر عن شاعريـة رقيقـة اصيلة .

(جان آرب) يجنح في لوحته النحتية النافرة الى تمثيل الكتل تمثيلا تجريدياً متقناً ، ولكنـه لا يخلو من جمـال وروعـة .

اما الحديقة . فقـد قام بتنظيمهـا على الطراز الياباني الفنان (نوغوشي) وقـد استحضر لتجميلها احجاراً فنية رائعة نقشت على الطريقة اليابانية ، وكتلا خشبية كبيرة قطعت بأشكال هندسية منتظمـة ووزعت بطريقة فنيـة فبدت وكأنها لوحة تجريدية نافرة . غير ان هذا الترتيب



نحت متحرك للفنان

الامريكي كالدر

واقد نفذت هاتين اللوحتين على الخزف (السيراميك) المقطع الى الواح مستطيلة ومرصوفـة كأحجار البناء غير المنظم . ولقـد قام بتنفيـذ ذلـك (ارتيجاس) الاخصائي المشهور بالسيراميك .

ورغم جمـال هاتين اللوحتين ، فان تقطيعات احجـار الخزف قد شوهت الرسم واعطتـه طابعاً جديـداً والوانا تختلف عن اوان ميرو الاساسية .

وفي نفس الساحـة الداخلية ، قرب المدخل الرئيسي ، انتصب عاليـاً تمثال (كالدر) الاميركي ، وخلفه جـدار قاعات الاجتماع الذي يشكل قاعدة خلفية لهذا التمثال . وعندمـا نسمع عن تمثال يتبادر الينـا اننا سنكون امام قطعة كبيرة من الحجر أو الرخام ، منحوتـة ومشذبـة على هيئـة ما ، ولكننا مع كالدر ، نكون دوماً أمام طرائف غريبة من التماثيل المعدنية المتحركـة . ولذلك فاننا لـن نرى دوماً نفس الهيكـل التجريدي القابـع في حديقـة الاونسكو . سيذكرك هذا التمثال ان الحركة الطليقـة تقدم لك وجوداً جديداً متطوراً ، كما يقول كالدر .

ولكن تمثال (هنري مور) الحجري يعيـد الى الذاكرة الاسس الاوليـة للبناء النحتي ، ويقـدم صورة تعبيريـة مشجعة ، لها قرابتهـا المعقولة للواقـع الحي . بينما نرى

والتنسيق الدقيـق انما يناسب حديقة صغيرة في بيت ياباني خاص . ولذلك فقد بدت هذه الزاوية الجنائنيـة صغيرة منزويـة .

هذه أهم الآثار الفنية العظيمة التي زينت قصر الاونسكو. واهـم المشاكـل التي اثارتها ، انـه لم يراع فيها جميـع الاتجاهات الفنيـة الحديثة ، وانما اختصت باتجاه وحيد هو الفن التجريدي ، بأشكاله المختلفة باختلاف القوميات ، وقـد برر ذلـك رئيس لجنة الانتقاء السيد (بارا پيريز) مندوب فنزويلا بأن ما يهمنا هو هذه المرحلة التي نعيشها ، اننا نريد ان نسجل هنـا في هـذا المكان صفحة من تاريخ الابداع الفني ، هـذه الصفحة هي آخر مـا يمكن ان نقراه ونحن نفتتح هذه الدار .

واقد اثارت مجلة « هذا اليوم » الفرنسية ، مشكلـة فقـدان الانسجام بين اللوحـات المعروضة ، واسـلوب البنـاء ، ورات ان اي اللـوحات لا يمكن ان يتفق مـع الهندسة المعمارية لبنـاء الاونسـكو . والواقـع أن في ذلـك بعض الظلـم ، اذ ان اللوحات والآثار الموجودة ، اذا كانت تعبر عن الطريقـة التجريدية المنتشرة في جميـع انحاء العالم ، فانها بذلـك انما تشكل وحدة متماسكـة فيما بينهـا ، تجعلها قادرة على تطعيم البنـاء وهندسـة

نفسها بطابعها الموحد ، وهذا ما لاحظتـه مجلة «الفن» امـا مشكلة المضمون التي اثارهـا احد أعضاء لجنـة الانتقاء والتي جعلته يعارض في أكثر اللوحات المعروضة، فلقد وجدت جوابها في طبيعة الاتجاه التجريدي في الفن التشكيلي .

عفيف بهنسي



لوحـــة بيكاســو

بقيـة المنشور على صفحة « ٣٠ »

(الاشتراكية العلميـة) ان تخطو اي خطوة في اوروبـا الشرقيـة بسبب من اقترانها مع الاستبدادية السياسية التي تبرر وجود استعمار سوفياتي ، بكلمات أكثر تزويقاً، واقل نشازاً ...

والى ذلـك كله ، فلنعترف بأن تكـويننا الاقتصادي لم يتم بعـد ، بل هو لم يبـدأ ـ بالنسبـة لصناعات دول أوروبا وامريكـا ـ ان السـلطات التي تمنحها التشريعات للحكومة الحديثة تتيح لها المجال للتدخل في الاقتصـاد الناشيء ، بقدر متزايد ، من اجل الغاء التجمعات العمالية البائسة التي كانت تتسرب من ثقوب التـكوين السياسي للحكومـة واضطراب سلطتها على وسائل الانتـاج ...

اننا نستطيع اذن ان نهيكل البنيان الاقتصادي بالصورة التي تتلاءم مع متطلبات المجتمع دونما حاجة لنقل وسائل لا تتلاءم مع تكويننا الاجتماعي المتشكل منذ زمن طويل ... ان البرمجة ، بكل ما تحوي هذه الكلمـة من معنى علاقة الدولة بالاقتصاد ، كفيلـة بالحفاظ على التماسك القومي الذي يستطيع ان يؤدي من خـلال طمأنينته رسـالتـه الانسانيـة ...

لقد قدم لنا العالم نماذج من المحاولات الانسانية لاحلال الرفاه من خلال الايمان بالشعب ، هذا الايمان الذي يحدد قيمة النضال كله ، الايمان بأن الشعب ليس قطعـاً على الاطـلاق : ـ حينما ابتـدع غاندي نضال الساتياغراهـا وسار امام آلاف الهنود يستقبل الرصاص بصدره الناحل المضطرب بايمان اسطوري ، انما كان يعبر عن اعمق عنصر في الطبيعـة الهندية وأروع فهم للنفسية المؤمنة بحقها الى الحد الذي ترخص المـوت من أجلـه ، ومن هنـا كان نجاحه ... غوصـه في أعماق الشعب المتكون من اصول حضارية لا تنقطع ولا تتمزق ...

وحينما عاد الفيلسوف الهندي (ناريان) من اميركا ، رفض أسلوب غانـدي المسالم في النضـال ... كـان يومها يعتمد الماركسية بكل حماس الطالب الذي اهـدي منظـارا لأول مرة فرفض نزعه .. وقاوم غانـدي بكـل قواه ... ولكن غاندي لم يكن فرداً ، كان حضارة ، وهل من السهل ان يقف فرد أمام حضارة .

ثم ثاب ناريان الى رشـده ... وآمن بالغاندية اكثر من غاندي نفسه ... وتطوع كي يقود حركة « البودوان » اغرب حركـة في التاريخ الانساني كله ... هي حركـة توزيع الاراضي الطوعي ... وبكلمة اشد وضوحاً حركة الغوص الى اعماق النفسية الهنديـة الخيرة من اجـل العمل على رفاه الآخرين ... ولقد نجحت الحركة ...

ان فهم الشعب يجب أن يسبق فهم اي فلسفة لشرحه .. ومن هذه النقطة يجب ان تنبع المناهج العربية للتطبيـق الاشتراكي ... فالقوميـة العربية التي برهنت على انها مد تقدمي في الميدان السياسي يجب ان تبرهن على انها ذات محتوى اجتماعي تقدمي ... ومقياس تقدميتهـا هو مدى اقترابها من فهم الشعب فهماً صحيحاً ...

ان اعتماد (السـلام الاجتماعي) منهجـاً لاقرار الرفاه هو عمل متجاوب تماماً مع الاصول الحضارية للقوميـة العربيـة ... وفي داخل التماسك السياسي الضروري رفضت القومية الوسائل الطائفية ، والطبقية ، والاميـة لاحلال الطمأنينة ...

كلمـة « السـلام الاجتماعي » تلخص المحتوى الحياتي للاطار السياسي الذي هـو المظهر الاساسي الآن لتحرك القوميـة العربية نحو الصعود .

غسان كنفاني ـ دمشق

لوحات انسانية

بقلم

محمد حيدر



هذه اللوحات .. لا هي بالقصة ولا بالمقال ! ولكنها صور من الحياة لاشخاص نعرفهم ونعيش معهم ، أو نسمع بهم كل يوم .

أما الاسماء فلا تهم ، لاننا لا نرسم الاشخاص .

أنا اقدس الكلمة .. وفي دمي يكمن الحرف ! أبنيها على دماري الفكري ، واعطيها كياني باخلاص مطلق - احرفي الملعونة تفرز مخالبها في الدم ..

أمامي الورق ، وأنا اريد أن ألطخ الفراغ الابيض .. اريد ان اكتب لأعيش ! ..

اني جائع ، ومسعور الى جرعة من الخمر . ابحث الشوارع بحثاً عن اللاشيء ، ثم أقبع الساعات .. ساعات طويلة من الحرمان والانتظار ، وأنا أتفرس الزحام في ذلك المقهى الضائع .. من مقاهي دمشق !

أتسول الدخان من الاصدقاء ، وأطلب لقمة الخبز ، وأبيع عمري في سبيل جرعة من الخمر !

سمي الابيض ! كم أشتهيك يا أيها السم .

قريتي الصغيرة ، تركتها منذ سنوات . وعينا أمي الحزينة تمزق قلبي في شوارع دمشق . في مدينة التسول ، والتشرد والضياع !

أتذكر أيامنا السابقة ، أبان كنت بشماً من الخبز والدفء والحنان .

اني غريب وجائع ! ولكنني أملك الحرف .. أكتبه مغمساً بالدم !

نشرت قصة منذ أيام . كتبتها عن الحب والحرمان .. عن البؤس .. والانسان الذي يبيع عمره في سبيل ابتسامة عارية ، وكاس من الخمر .

لا زلت أتفرس الزحام بعينين بليدتين . وصاحب المجلة يستحثني بين حين وحين !

- أكتب .. شيئاً لهذا العدد ! آخر مهلة اليوم .

- انني جائع ، ولا أملك ثمن الورق . ويضحك .. كل شيء على ما يرام !

سيارته قريباً من الباب .. وجيبه عامر بالنقود ، ونظارته الأنيقة تلمع على عينيه !

ويخرج بي من دمشق ! لك كل ما تريد ..

لقد وضعني في مكان جميل ، يستحث الخيال كما يقول ، واشترى لي صفحات من الورق ، واقداحاً من الخمر .. وعلبة من الدخان ! ..

الساعة التاسعة ، مع الصبح الجديد .. ليوم آخر اسود ، من الايام .

ـ الحادية عشرة ، الثانية .. أم الواحدة ؟! .. متى أعود ؟



سيكون المقال جاهزاً .. أليس كذلك ؟ ساعود في الوعد المحدد .

ويمضي رشيق الخطى .. ويدس في جيبي ورقة او ورقتين .

امامي الورق .. الفراغ يأكلني كالحقد . عيناي مصلوبتان على البياض ، والالم الحرون لا يود الحراك .

صخب ... وضجيج يطرق من جديد مسمعي .

اب .. وأم ، وأطفال صغار . ويجلسون قريباً الي . وحنان دافيء ينفجر من القلب ويفيض من الوجوه

خالو .. بابا .. ماما .. لا تقع !

يا ثدي أمي الحنون ، كم أود أن أعود طفلا من جديد .

الساعة العاشرة ..

العاشرة والنصف .. والعقارب تجهز على نصفها الآخر!

الحادية عشرة .. ولا أحرف سوى التامل والحزن .

اكرهك يا قارئي البليد ، أيها الجلاد الذي لا يشبع . يا من تمتص دمي قطرة قطرة .. من أجل شهرة زائفة ، وقطعتين من النقد ، وحبتين من الزيتون .

ما ذا تريد أن اقدم اليك ؟

اترضيك طفولتي التعسة ؟ او اخي الذي مات ! وتشردي في مدينة الضياع ؟

أم تريد اعمق ؟ اعمق من كل ما ذكرت .. ليالي الارق ،

ويصرخ بي انسان من الداخل : انك مأجور .. مأجور ومأجور !

وتود أن تسقط دمعة على عيني ، ولكنني أحجرها لتهبط دماء الى الاعماق !

أكتب .. أكتب يا أيها الانسان الداخلي اللعين .

أود أن أعيش في بلد غريب . وأنا جائع ومحروم ، وأحب قدحاً من الخمر .. ويسري في دمائي السم .

.... .. ! !

ولا .. كلمة ! البياض يحملق ببلاهة . تحرك يا أيها الانسان .. هذا دورك يادماغي النتن ! ..

أتوسل اليك يا أحرفي البكماء

.... .. ! !

ضجيج القطار يخترق أذني .. والمسافرون يلوحون بأيديهم بلا هدف . يلوحون لاشخاص خياليين .

يا أيها المسافرون التعساء ! أذقتم مرارة الحرمان والحزن؟ انني أشتاق العودة .. لامي الحزينة ، يا أمي الحزينة .. يا ذات العينين الشاحبتين .

.... .. ! !

وحبي الذي مات ! أم تريد أن ألطخ نفسي لتقرأ سعيداً ما كتبت ؟

أتريدني أن أبدو مهرجاً أمام عينيك ؟ أنا مستعد لتبتسم أنا مستعد لتبتسم أيها الجلاد . ولكنني لا أستطيع ، فروحي مليئة بالشوك والحزن ، وثغري لا يعرف الابتسام .

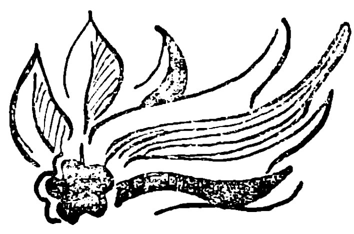
الثانية عشرة ..

ويلعب حولي الاطفال . تعال .. تعال يا أيها الطفل لأقبل قدميك !

سوف يحضر صاحب المجلة ، ويسألني المقال بعينين ملهوفتين !

لا مجال للانتظار .. فضجيج المطبعة يصم الآذان ، وأحرفها الرصاصية تبتلع كل شيء .

لا فائدة يا دماغي النتن ! .. لقد خنتني في أظلم الاوقات ...



اطمئن يا جسدي الجائع : قطعة من الخبز ، وشيئاً من الدسم ، وقليلا من السم !

الواحدة ...

وصوت السيارة يطرق أذني .. صاحب المجلة يقبل بعينين ضاحكتين ...

لا شيء يا أيهـا المترف ؟ !

لا شيء سوى التشرد ، والالم ، والضياع ، والدموع ..

الياس فرحات

بقلم :
الدكتور جودة الركابي

قصة شاعري هي قصة العبقرية التي وجدت في الحرف منطلقاً لما يجيش في نفسها من احاسيس وما يعتلج في حناياها من عواطف الحب وانفعالات القلق .. قصة بدأت في « كفر شيما » القرية اللبنانية الجميلة ، المطلة على البحر ، العابقة بأشذاء الصنوبر ، التي أنجبت للأدب العربي آل اليازجي اللغويين ، وآل شميل المفكرين، وآل تقلا الصحفيين ، وانجبت الياس فرحات .

في هذه القرية اللبنانية الوادعة « كفر شيما » ولد شاعرنا الياس فرحات عام ١٨٩٣ ليحمل منها الى ربوع امريكا الجنوبية أصفى نبرات الشعر العربي المتدفق عاطفة وجرأة ووطنية . في هذه القرية كان شاعرنا نبتة غضة تهزها رياح القلق في عصر مني بالظلم والفقر والحرمان ، وكأن فيها زجالا لا يعرف من لغته الا القراءة البسيطة ولكنه كان يختزن في أعماق نفسه ينابيع شاعرية فجرتها الايام فيما بعد فتدفقت نهراً عذباً خالداً .

ولم يطل بشاعرنا المقام في بلدته الاولى « كفر شيما » التي بعثت فيه ، كما بعثت في أكثر ابنائها ، هبة الشعر وخفقة الحب وجمال البيان . وفي عام ١٩١٠ يغادرها مهاجراً الى البرازيل ملتمساً الرزق طالباً العيش . فتطرحه النوى مطارح الشقاء وتتقاذفه أيدي النوائب ويلاقي من العنت ما يلاقي ، ولكنه يصارع الحياة بإباء وشمم ، وتسيطر نفسه المرهفة الشاعرة عليه فلا تحبسها الويلات ولا تخمد من جذوة الهامها المصائب .

وقد استطاع الشاعر أن يقدم لنا صورة مؤثرة عن قصة كفاحه المر في قصيدته « حياة مشقات » التي صور بها كيف كان يستقطر ماء الرزق من صخرة الحياة القاسية ، فيجوب الفيافي والمروج ماشياً أو راكباً في عجلة أجاد في تصويرها وهي تسير على الصخور الصلد وترقص فوق نواتيء الحصا ، تهبط تارة وتعلو طوراً :

ومركبة للنقل راحت يجرها
حصانان : محمر هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء ، شدها
غرابيل أدعى للوقار وانسب
جلست الى حوذيها وورائنا
صناديق فيها ما يسر ويعجب
حوت سلعاً من كل نوع يبيعها
فتى ما استحل البيع لولا التغرب
وراحت كأن البر بحر نجاده
واغواره امواجه ، وهي مركب
تبين وتخفي في الربى وحيالها
فيحسبها الراؤون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغاب والصبح مسفر
فنحسب أن الليل لليل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها
فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى
فنوشك من تلك الخلاعة نقلب !
نبيت بأكواخ خلت من اناسها
وقام عليها البوم يبكي ويندب !
مفككة جدرانها وسقوفها
يطل علينا النجم منها ويغرب
عليها نقوش لم تخطط بريشة
تظن صباغاً لونها ، وهو طحلب !

يغني لنا فيها الهواء كأنه
ينومنا ، والبرد للنوم مذهب
فنمسي وفي اجفاننا الشوق للكرى
ونضحى وجمر السهد فيهن يلهب
ومأكلنا مما نصيد ، وطالما
طوينا لأن الصيد عنا مغيب
ونشرب مما تشرب الخيل تارة
وطوراً تعاف الخيل مانحن نشرب
حياة مشقات ... ولكن لبعدها
عن الذل تصفو للأبي وتعذب

والحق أن هذا الوصف جديد في أدبنا العربي ، وهو ثمرة من ثمار الادب المهجري الذي لم يكن ليطرق هذه الموضوعات لولا البيئة الجديدة التي ترعرع فيها والتي مدته بالاساليب الجديدة . وهذه القصيدة لا تكتفي بأن ترسم لنا طرفاً من حياة الشاعر القاسية ولكنها تدلنا على قوة تصويره الواقعي بطريق نامس فيه روح ابن الرومي الساخرة مع نظر الى الاسلوب الواقعي الذي أجاده أدباء الغرب .

ومن خلال كفاحه المرير مع الحياة تظهر اخلاقه جلية على اختلاف نزعاتها :

فهو أبي يكره مكر التجار وخداعهم ، وهو عاطفي يهزه الحب ويألم لجراحات الناس ومتاعبهم وتدهشه تناقضات المجتمع ، وهو محب لوطنه لا ينساه بل يحن اليه دائماً ويذكره كلما حلت به مصيبة أو ألمت به نازلة .

نعم ، لقد آلمه جو المادة الذي كان يحيط به ، وآلمه ، وهو الشاعر المرهف ، أن يرى نفسه بين تجار يتصارعون على المآرب ويتطاحنون على المكاسب فقال يصف حاله :

تسائلني عن حالتي وهي حالة
تروح بتيار وتغدو بتيار
وكيف ترجى أن أكون موفقاً
وما أنا الا شاعر بين تجار !

وفي قصيدته « **نجمة الليل** »يناجي الشاعر هذه النجمة ويسألها هل تجد في عالمها مثل ما هو واجد في عالمه من ظلم واحتكار وتطاحن في سبيل المآرب وعبودية المال ؟ ثم يخلص من ذلك الى قوله : **انه يبغي حياة لا شرور فيها ولا آثام ، انه ينشد حياة لا يعيش فيها الغدر :**

احن الى الغاب حيث الشرور
هنالك نيرانها خامدة
احن حيث لا يجلس الغدر
قرب الوفاء الى مائدة

وحري بمن ينشد هذه الحياة النقية أن يكون صريحاً صادقاً ، **وهكذا فقد كانت الصراحة من أبرز صفات شاعرنا** ، وكان لا يحتمل المداهنة والنفاق ، وقد لاقى في سبيل جراته هذه عنتاً كبيراً ، بل لعل صفة الشاعر المتأصلة في نفسه هي التي ابعدت عنه ، في فاتحة الامر النجاح المادي الذي لم ينله الا قليلا في اخريات حياته . وأين من طبع التاجر من تتصف نفسه بهذه الصفات فيقول :

واني لمطبوع على الصدق جاهر
بآياته والنصل في النطع يقطر
أقول لذي العينين انك مبصر
وللأعور المغرور انك اعور

بمثل هذا الصدق وبمثل هذه النفس الابية لاقى فرحات الحياة وكافحها ، وانساب من خلال أشعاره ذلك اللون الحزين الذي رسم حياته الشقية وقلبه المعذب :

ولي في حنايا الضلوع فؤاد
لغير المصائب لم يخفق
تعودها وهو طفل صغير
فان بعدت صار في مأزق
تثير الليالي عليه الحروب
فيغشى الحروب ولا يتقي
لقد أرضعتني صروف الزمان
لبان الشقاء ولم تشفق

الا أن الشاعر استطاع في أخريات حياته ان تحالفه الايام وأن ينال بعض السعة في العيش فيقر قراره في بيت ابتناه في البرازيل ويعيش مع أسرته وأولاده قرير

العين ، ولكنه كان دائماً في تلفت دائم الى الوطن وشوق خالد الى الحبيب البعيد .

***

ان حبه لوطنه استقر في شغاف قلبه ، ولقد كانت صورة وطنه تتمثل دائماً أمام عينيه وجراحه تدمي قلبه ، فكان يذكره متفجعاً متألماً ، ونحن نلمح من خلال ابياته ظمأه الى رؤيته وحبه الثابت في أعماق سويدائه :

لبيك يا وطني العزيز وان اكن
صباً غرامي آخذ بزمامي
تفديك من نوب الزمان جوانحي
وجوارحي وصبابتي وغرامي
هذي عظامي من ثراك تصورت
ولذا تحن الى ثراك عظامي
ودمي مياه من سماك تقطرت
ولذا ابيت الى مياهك ظامي
والروح روح من هواك تكونت
ولذا دموعي في هواك هوامي

وقد بقيت هذه النبتة الصغيرة التي جاءت من لبنان عربية صافية لم يستطع هواء الغربة ان يغير من لونها شيئاً ، **وبدا شاعرنا متمسكاً بعروبته داعياً الى الوحدة العربية حتى أوغرت هذه النزعة القومية صدور الانعزاليين عليه** فاتهموه بالمروق من لبنانيته ، ولكنه لم يذعن فرماهم بسهام لسانه فكان عربياً قبل كل شيء لا لبنانياً يعيش في جوار العرب . فلنسمعه وهو يخاطب لبنان داعياً أن يكون في خدمة العروبة التي منها يستمد أصله وفي أعماقها تمتد جذوره :

لبنان ان ترض العروبة كان لي
في القول فيك من النجوم قواف
يا شيخ مالك والثلوج كثيفة
حرز سوى هذا الفراش الدافي !
القلب أنت وما شغافك غيرها
اراى امرؤ قلباً بغير شغاف
ما انت الا هم فهم لك معدن
هذي الرياض أصولهن فياف
والتمر في أعلى النخيل مناطه
وحياته بالجذر والاliاف

هذه النفحة العربية لم تقتصر على المعاني التي طرقها والدعوة التي دافع عنها ، بل كان الكثير من قصائده يتسم بطابع الشعر العربي الاصيل وجزالة الفاظه ، فكان الى جانب تجديده في الاساليب والقوالب لا يضن بالشعر الجزل الذي نلمح فيه رنة البداوة وفخامة الشعر الجاهلي كما في قصيدته التي عارض بها الشاعر فوزي المعلوف حينما انكر في قصيدة له كل فضل للقديم وزعم أن المهاجرين لا شأن لهم في سياسة بلادهم المنكوبة فجاء فرحات يرد عليه في قصيدة قوية ذات نسج عربي صاف فيقول :

حي البداوة نوقها وخيامها
والجاهلية رمحها وحسامها
حيتك أشباح القديم وسلمت
فمن العدالة أن ترد سلامها
هذي بلادك مسرح لحوادث
جهلت نبوات الكتاب ختامها
ان تلو هامتها فقد غسلت بما
سفكته من مهج العدى اقدامها
تأبى عليك مروءة عربية
أن لا تشارك في الشعور كرامها
لو كان للامم الابية دولة
وضعت على صدر الشآم وسامها
أرض توحدها العروبة فليصل
لبنانها حورانها وشآمها
ما خطط الدين التخوم لأمة
الا وقد نخر الفساد عظامها

هذه الروح العربية لم تفارق قلبه ، فبقيت في نفسه نوراً للامل الذي ما زال يعمل في سبيل تحقيقه **وهو ان يرى وطنه دولة واحدة لا يفرق بينها عنصر أو دين أو شعوبية .**

***

هذا الشاعر الوطني كانت تضطرم في نفسه عاطفة

جياشة صادقة فجاء شعره منسجماً سائغاً لم تفسده أغراض الزلفى والاسترضاء والمديح ، ولم تكبله الصنعة بقيودها بل جاء سمحاً بسيطاً يجري مع الطبع والخاطر .

ولقد كان **فرحات** قبل كل شيء **شاعراً غنائياً** ، اجاد في كل غرض يمت الى العاطفة والحب بصلة ، **ولذا كنت ترى لحن المأساة يصبغ اشعاره بلون حزين ينم عما في قلبه من حب دفين . ان هذا الحب لم ينسه ، لقد غناه في « خصلة الشعر »** التي زودته بها فتاة احلامه يوم غادر القرية وابى الدهر ان يجمع بينهما ، فتزوجت من سواه كما تزوج من سواها . **وغناه أيضاً في كل وجه جميل ، وكان نشيداً عذرياً لم ينحدر الى المتع الجسدية واللذة الحسية المبتذلة .**

نعم ، لقد كان في شعر **فرحات** سخط جارف مدمر ، وكان في اخلاقه صلابة وعناد وتمرد ، وكان صدره يقدح شواظاً من نار . **ولكنه مع هذا عرف كيف يرسل النغمة الهادئة والخفقة الوالهة والدمعة الحرى ، فرثى** اصدقاءه بأصدق الاشعار ، وصور حنينه وحبه بأعذب الالحان . **وأحب الطبيعة وامتزج بها** حتى انك لتعجب من ذلك الشاعر الجبار ، الذي تراه حيناً مزمجراً ساخطاً وحيناً آخر واعظاً حكيماً ، كيف يرق حتى تكاد قصائده تحاكي خفة النسيم وتنهدات العشاق في اسلوب ساذج جذاب كما في قوله :

يسائلني الصحب عن رسمها
وما رسمها صورة تبتذل
وان المصور مهما اجاد
تظل الاجادة دون الاقل
فكم صوروا المقل الساحرات
وما صوروا سحر تلك المقل
وكم صوروا قبل العاشقين
فهل صوروا طعم تلك القبل ؟

على أن الشاعر كان يحترم الزوجية التي عرفها منذ عام ١٩٢١ ولكنه عرف أيضاً طعم اللمى والرضاب كما يقول جورج صيدح . وقد اشار الشاعر الى ذلك الطعم بحسرة التائب بعد فوات الشباب :

فر عصفور شبابي من يدي
فعصافير الهوى تبكي عليا
لم امت بعد ، ولكن ليس من
اصبحت تنفر منه الغيد حيا

وهكذا فقد احب الشاعر الحياة على شقائها ، واحب منها وجهها الجميل ، ومجده في جمال المراة وانسياب الجدول وبسمة الزهر ورنة الوتر واخضرار الربيع :

احب الربيع وايامه
واهوى لياليه الضاحكات
واعشق اجمل ما في الربيع
ورود الربى وخدود البنات
واعجب كيف يعيش امرؤ
خلياً وزهر الدجى عاشقات
فان الربيع شباب الزمان
وان الشباب ربيع الحياة
وان الحياة على خبثها
لتحوي كثيراً من الطيبات !

ولا اجد في الختام كلمة تجمع صفات شاعرنا وتصوره اصدق تصوير خيراً مما كتبه عنه **جورج صيدح** فقال : « **هو الشاعر المهجري مئة في المئة .** وان لم يكن أعرق زملائه في الشاعرية فهو اعرقهم في الروح المهجرية . ما تأدب ولا كتب حرفاً الا تحت سماء البرازيل . ادبه عصري الطابع . **تحرر في الفكر ، وتجديد في الأداء ، وصدق في العاطفة .** ان نظم فتلبية لسليقة اصيلة في نفسه وعاطفة جياشة في صدره تدفعه الى القول الحق الصراح . وان تألمت روحه لمأساة من مآسي الوطن تدفق شعوره أمواجاً عارمة تجرف الظالمين والخانعين على السواء وتتكسر على صخور المستعمرين الاقوياء .... **وهو الذي لم ياكل خبزه الا بعرق جبينه ولم يعفر جبينه بتراب الزلفى والمداهنة . استغنى بالقناعة عن الاغنياء فساواهم حرية ، واختص دونهم بالعبقرية فتعالى عنهم واستطاع ما لايستطيعون .** »

جودت الركابي

مُناقشات

مفهوم الرواية وعملية خلق الابطال

عند فرانسوا مورياك

بقلم :
جورج سالم

مقدمة

يدور حول مختلف الآثار الفنية عدد كبير من الاسئلة تتعلق بطبيعتها وشكلها ومضمونها والمشاكل التي تثيرها والنماذج التي تقدمها .

اما الطريقة التي تم فيها تصور الاثر ومراحل تكوينه ومصادره القريبة والبعيدة وعملية النضج البطيء التي مر بها فالحديث عنه يبدو اشد تعقيدا واكثر صعوبة . ولعل للأضواء التي يسلطها مبدع الأثر نفسه أعظم الاهمية فى فهم أدبه خاصة وفى فهم عملية الابداع الفني بشكل عام .

ولقد قام الاديب الفرنسي الكبير فرنسوا مورياك بدراسة من هذا القبيل عنوانها « الروائي وابطاله » عرض فيها كثيرا من آرائه فى معنى الرواية وعملية خلق الابطال كما يفهمها هو وكما حاول أن يحققها فى معظم رواياته وقصصه وسأحاول هنا ان اجمل الخطوط الاولى التى تقوم عليها هذه الدراسة العميقة .

الرواية اقتران الروائي بعالم الواقع .

يبدأ مورياك بتقرير هذه الحقيقة ، وهي ان الروائي خالق ينافس الرب فى عملية الخلق ، ولكن شتان ما بينهما ! لأن الخلق معناه ايجاد الشيء من العدم ، والروائي لا يوجد شيئا من العدم قط ، وانما يستمد العناصر التي تكون ابطاله من عالم الواقع اي من رؤية الناس أو من عملية استبطانه لنفسه . فابطال الرواية اذن يولدون من اقتران الروائي بعالم الواقع ، ولهذا فمن العسير أن نميز بين ما أبدعه الكاتب من نفسه وبين ما استمده من العالم الخارجي

ويستبعد مورياك من دراسته هذه نوعين اثنين من الروائيين : احدهما الروائي الذي لا يصور الا نفسه متستراً خلف قناع بطل ما ، وهذا امر طبيعي بالنسبة للروائي في الفترة الاولى من حياته وثانيهما الروائي الذي ينقل الينا صور الناس كما يراها بصدق وامانة ودقة وهذا النوع من النقل نراه عند الكتاب الاخلاقيين – كلابروبير مثلا – لان هؤلاء الروائيين لا يخلقون وانما يعيدون الى الناس – على حد تعبير لابروبير نفسه – ما أخذوه من الناس ، ومن السهل بعد ذلك ان يرى كل امرىء صورته الشخصية التي رسمها له الكاتب .

ان الرواية التي يعنيها مورياك هي الرواية التي يقدم فيها مؤلفها ، شخصيات جديدة نتجت عن هذا الاتحاد العجيب بين الفنان والواقع . ولا يستطيع ان يحقق هذا الا الروائي الحق ، الروائي الذي لا ينقل ابطاله عن نماذج صادفها في الحياة ، بل يقدم لنا نماذج جديدة ، يستطيع ان يفخر بأنه هو الذي اخرجها من العدم بمقدرته الخلاقة ، ولئن كان هناك اناس ، قريبون منه او بعيدون عنه ، يعتقدون أنهم يرون صورهم الشخصية فيما كتب الروائي ، فان هذا لم يفكر فيهم ابداً حين كتب ما كتب . ولكننا حين نقول ان الناس وجدوا شبهاً بينهم وبين النماذج التي خلقها الروائي ، الا يعني هذا ان الكاتب استمد لحمة ابطاله مما رسبته الحياة في نفسه من صور وذكريات ؟

اثر الروائي

ذلك بأن الفنان ، ابان طفولته ، يجمع في ذاكرته الاشكال والصور والاحاديث ، فقد تستهويه صورة ما ، أو حادثة او حديث ، وتبقى هذه العناصر كلها في نفسه ، ولو لم يشعر بها ، على خلاف الناس العاديين الذين تضيع مثل هذه العناصر من نفوسهم او تتلاشى . وهكذا تحيا هذه

العناصر ، على غير علم الروائي ، وتبرز ذات يوم اذ يحين وقتهـــا .

لقد كان ثمة فتى صغير يتجسس ، غير شاعر بجريرته، يلملم ويسجل ، ويحفظ صور الحياة في تعقدها المظلم ، وهو يعيش في هذه الاماكن المظلمة حيث تمر طفولتـه ، بين هذه الأسر المنطويـة على نفسها ، في تلـك المناطق الضائعة ، في زوايا الارياف التي لا يمر بها انسان ، حيث يظن الناس ان احداث الحياة لاتقترب منها . انه فتى يشابه غيره من الفتيان ، فلا يثير في النفوس اي شك حتى ان ذويه ليصرخون في وجهه قائلين :

ـ هيا العب مع رفاقك ، ماذا تراك تصنع ههنا قابعـاً بين ثيابنا ..

بيد انه يرهف السمع دائماً ليلتقط ما يرويه الكبار .

فاذا تسلم غداة نشره لرواياته رسائل من القراء يخبرونه فيها انهم تعرفوا صورهم الشخصية فيما كتب فانه يشعر بشيء من الخجل والدهشة والحزن .. ذلك بأنه يعرف ابطاله حق المعرفـة ، ويعلم انهم لا يشبهون أولئك القراء

أثر الواقـع .

ويشرح موریاك طريقته في تصور الرواية فيقول :

لا استطيع ان اتخيل رواية ما دون ان يكون المنزل الذى ستجرى فيه الحوادث حاضراً فى ذهنى ، يجب أن اعرف المنطقـة المجاورة له ايضاً معرفـة عميقـة لا سطحية . وهكذا فما من مأسـاة تستطيع أن تحيا فى ذهنى ان انا لم أضعها فى الامكنـة التى عشت فيهـا ردحاً طويلا مـن الزمن . ينبغى أن أتابع تنقلات أبطالي من غرفة الى غرفة ، وقـد يحدث أن يكـون وجههم غير واضح بالنسبة الي ، وقد لا اميز جيداً خيالاتهم ، ولـكنني أستنشق رائحـة الردهات التي يجتازونها ، واعرف كل ما يستنشقون وما يتناهى الى اسماعهم في اية ساعة من ساعات النهـار أو الليـل .

هذه الضرورة قادتني الى رتابة مكانية سيطرت علـى رواياتي جميعـاً . انهـا تلزمني أن استعين بكـل المنازل والحدائق التي عرفتها او عشت بين ارجائها منذ طفولتي، ولكن امـلاك اهلي واقاربي قـد لا تفي بالغرض ، فأراني مضطراً لان اغزو منازل الجيران ، وكثيراً ما رايتني ادير رحى اقسى الفواجع في عقر منزل من تلك المنازل الريفية التي طالما اكرمني اصحابها وقدموا لي ما لذ وطاب مـن المآكل والمشرب .

الى هذه المنـازل يحمل الروائي مخلوقـات تختلف عن الناس الذين سكنوها . ولنـا أن نتساءل بعـد ذلك ، ما العلاقة بين سكان تلـك الديار الذين عرفهم الكاتب وبـين المخلوقات التي جاء بها ؟

اما بالنسبة لموریاك ، فالامـر يسير جـداً ، فهو يأخـذ الاشخاص الثانويين في رواياتـه من المجتمع مباشرة ، اذ ان وقتـه لا يتسع لأن يعيد خلق هؤلاء الاشخاص ، فلا يجد بدأ من ان يأخذهم كما هم . اما الابطال الآخرون ، ابطال الروايـة الاساسيون ، الابطال البائسون في الغالب في ادب موریاك ، فالى اي حد يعكسون لنا كائنات حية ؟

الحياة تقدم نقطة الانطلاق .

لا تؤلف العناصر التى تقدمها الحياة للكاتب الا الخطوط الاولى ، او نقطة الانطلاق في مأسـاة كان يمكن ان تحدث او مشكلة ضعيفة كـان يمكن ان تتطور تطـوراً كبيراً في ظروف اخرى . ونقصد بذلـك ان الحياة تقـدم للكاتب نقطة انطلاق تتيح لـه ان ينطلق في طريق تخالف الطريق التى سلكتها الحياة ، فيعكس الادوار فهو يبحث مثلا في مأسـاة عرفها عن القـاتل في شخص الضحيـة ، وعن الضحية في شخص القاتل .

ولنأخذ على سبيل المثال رواية (تريز ديكيرو) فمـن بين المصادر الكثيرة التى استقى منها موریاك موضوعـه هذا ، كما يقول ، هناك المشهد الذى رآه وهو فى الثامنـة عشرة من عمره ، كان مشهد امراة ضعيفة سقت زوجهـا السم . لقد ذكر وهو يكتب الرواية موقف الشهود وبعض الملاحظات ، ولكن اعتماده على الواقع يقف عند هذا الحد ، ذلك لانه بنى شخصية جديدة اكثر تعقيداً وأشد اختلافاً . كانت الدوافع التى حدت بالمراة الى ارتكاب جريمتها تلك ، دوافع يسيرة للغايـة . فقد سقت زوجها السم لانهـا كانت تحب سواه . وليس ثمة من رابط عميق يربط هذه ببطلة روايـة (تيريز) التي اقدمت على مثل ذلك العمل ، وهى نفسها تجهـل السبب الذى دفعهـا الى ارتكابـه . ولكن هل يعنى ذلك ان ما من علاقـة بين تيريز ديكيرو تلك النفس المضطربة الجموح التي تجهل بواعث تصرفاتها، وبين المخلوقات التي عرفها الكاتب ؟ بلى ، ان الجو الذي يعيش فيه الكاتب والاحاديث التي يسمع والكتب التـي يقرأ والمسارح التي يرتاد . كل ذلك يتيح لمعظم النـاس أن يتعمقوا ذواتهم . وهكذا فقـد وضـع الكـاتب بطلتـه في اتجاه ما دون ان يفكر بأيـة امراة ، وذلك بفضل جميع الملاحظات التي ترسبت في نفسـه خلال حياته .

وقـل الامر نفسـه بالنسبة لروايـة (عقـدة الافاعي) فان الخطوط العريضة الخارجية في شخصيته ، ترتبط بحادثـة معينة ، ولكن هذه الشخصية تختلف اختلافـاً عميقـاً عن الشخص الذي عانى هذه التجربة . لقد اعتمد

الكاتب على بعض المناسبات والعادات او على مزاج خاص، وجد فعلا ، ولكنه ركز كل ذلك حول نفس أخرى .

راينا ان الرواية تتولد من هـذا التزاوج العجيب بين الفنـان وعالم الواقع . فهو يغذي تلك الملاحظات وتلك الوجوه من نفسه او من قسم من نفسه على الاقل . فأي قسم نعني ؟

البطل وعلاقته بالروائي .

لقد مرت على موریاك فترة من الزمن كان يعتقد فيهـا ان الكاتب يحمل كتاباته كل مـا يعتمل في نفسه من رغبات وآمال وموجدة وان شخصياته تتحمل كل الآثام التي لم يرتكبها او انهـا تتمثل كل البطولات او المثاليات التي كان على الكاتب ان يقوم بها ولكنه عجز عن ذلك .

ولكن موریاك يرى أن هذا التفسير لا يقيم وزناً للمقدرة الكبرى التي يتمتـع بهـا الروائي على تبديل الوقائع وتضخيمها ، وهذه المقدرة هي اساس هام من اسس الفن الروائي . فان ما يشعر بـه الابطال لا يماثل ما يشعر به المؤلف . فقد يحدث ان يرى الكاتب في صميم قلبه نقطة انطلاق صغيرة قد يتفتح عليها بطل في روايـة ، ولكن على نحو مختلف حتى ليبدو في الحق أن ما من علاقة بين ما شعر به الكاتب وبين ما يجري في نفس بطله . فالكاتب يعزل عاطفة ما من النفس ويستخرجها من بقية العواطف المتضاربـة . فلهذا فان الابطال لا يمثلون الكاتب ولكنهم ينمون عنه . لان الكاتب اذ يحمل الموضوع فانه يبسطه. وان مما يغري الكاتب كثيراً ان يخلق كائناً نموذجياً . ولكن الحياة بعيـدة عن هـذا الكائن النموذج . ان هدف الروائي ان يرسم الحياة في تعقدها وهذه هي صعوبتـه البعيدة ، ومـن هنـا كانت مأساة الروائيين الحديثين الذين ادركـوا ان رسم الطبـاع على طريقـة الروايات الكلاسيكية لا علاقـة له بالحياة . بل ان كبـار الروائيين كتلستوي ودوستويفسكي وبروست لا يعدو ما كتبوه ان يكـون اقتراباً من الحيـاة الانسانية ذلك النسيج الحي الذي تتعارض فيـه آلاف الخطوط ، ولـكن دون أن يستطيعوا بلوغه آخر الامر . وان الكاتب الذي يدرك هذا يكون امـام اتجاهين فامـا أن ينصرف الى كتابـة بعض الحكايـات اليسيرة وامـا ان يجـري في تيـار جويس أو فرجينا ولف فيضطر الى ايجاد طريقة جديدة كطريقة المونولوج مثلا لـكي يجهد في أن يصور او يعبر عن ضمير انساني واحد ، ذلـك العالم الواسـع المتغير دائماً الـذي لا يستقر على حال .

ولكن هناك ما هو ابعد مدى : فليس هناك انسان يعيش وحـده . اننا جميعاً مرتبطون بأعماقنا بالكتلة البشرية .

ان الكائن كما يدرسـه الروائي ، ليس الا تصوراً ، وهـو لا يرسم الكائنات منفصلا بعضها عن بعض ، الا توخيـاً للسهولة والبساطة كما يفعل العالم في مختبره حيث يحلل المواد كلا على حدة .

هل يمكن نقل الحياة في تداخلها وتعقدها ؟

اذا أراد الروائي ان يبلغ قمة فنه ، اي ان يصور الحياة ، فان عليـه ان يجهد في نقـل هذه السمفونية الانسانيـة التي نرتبط بها جميعـاً ، حيث تمتد وتتداخـل جميـع الحيوات بعضها في بعض . ولكن كل من اراد ان يسلـك هذا السبيـل انتهى به المطاف الى الفشـل ، مع الاسف ، مهما يكن حظـه من العبقريـة . وان في محاولـة كاتب كجويس لشيئاً من اليأس . ولن يتاح لأي فنان ان يتغلب على هـذا التناقض الذي يرتبط بفن الرواية ارتباطـاً وثيقاً . فالروايـة تزعم انها تدرس الانسان ، ثم لاتلبث ان تعزل هـذا العالم الكثيف وتثبته تحت عدسة هوى واحد ، فضيلة كـان ام رذيلـة : الاب جوريو أو الحب الابوي بت بنت الخالة او الغيرة ، الاب جرانديه اوالبخل. هذا من جهة ، ثم تزعم من جهة ثانيـة الى تصور الحياة الاجتماعيـة . ولكنها لا تصـور في الحقيقة الا الافراد بعـد ان تقطع معظم الجـذور التي تربطهـم بالجماعة . وبكلمة موجزة ان الروائي يجمد ويعزل في الكائن الواحد عاطفة واحدة ، كما يجمد ويعزل من الجماعة كائناً واحداً. ونستطيع ان نصف من يصور الحياة على هذا النحو انه يعبر عما هو مخالف للحياة : ففن الروائي هو افلاساذن.

وقل الامر نفسه بالنسبة لكبار الروائيين الذينيزعمون انهم يصورون مجتمعاً كاملا ، ولنأخذ منهم بلزاك مثلا . لقد صور هذا الروائي نماذج متعددة من جميع طبقات المجتمع الفرنسي في مطلع القرن التاسـع عشر . ولكن تلك النماذج ظلت مستقلة بعضها عن بعض . فلم يكـن يربطهـا الا خيط دقيق في عقـدة الروايـة ، أو ربـاط العاطفة التي بسطت تبسيطاً بائساً . الا ان مرسيـل بروست يظـل ، دون شـك ، الروائي الذي استطاع ان يتغلب على هذا التناقض المرتبط بفن الروايـة ، لانـه استطاع ان يرسم الاشخاص دون ان يجمدهم ودون ان يقسمهـم .

ان الذين يجعلون من الروايـة اعظم الفنون لعلى صواب لان موضوع الروايـة هو الانسان ، ولكننا لا نستطيع ان نخطيء الذين يزدرون الروايـة ايضاً ، لان الرواية تنقض غايتها حين تقسم النفس الانسانيـة وتزور الحياة .

حريـة الابطال .

ومع ذلك كله فمما لا شك ان الابطال الذين اوجـدهم

الكاتب لا يتمتعون جميعاً بنصيب واحد من الحياة ، بل يتفاوتون في ذلك تفاوتاً كبيراً . وسبب ذلك ، في راي موریاك ، أن هؤلاء الابطال ، ونعني بهم الابطال الذين يكون نصيبهم من الحياة كبيرا ، لم تحدد دوائرهم تحديداً قاسياً ، ففيهم جانب سحري ، وجانب غير ثابت ، وفيهم امكانيات كثيرة قابلة للتفتح ، في حين يفتقر الابطال الآخرون الى هذه المزايا كلها .

ومهما يكن حظ الروائي من الفشل فان له اسباباً تبرر وجوده ، ذلك بأن مخلوقاته تؤثر على الناس . فاذا كانت هذه المخلوقات قد فشلت في ان تمثل الناس وتنقل اليهم صورتهم ، فان لها تأثيراً عليهم على كل حال . فهي تقلق راحتهم وتثيرهم ، وليس هذا بالامر اليسير . واذا كان الروائي يشعر احياناً بالخيبة فمرد ذلك الى سعة المجال الذي يدعي انه يعمل فيه ونقصد به تصور الحياة الانسانية .

يخلق الروائي أبطاله ويدفع بهم الى العالم وهو يحملهم نوعاً من المهام . ولكن هناك ابطالا يعظون القراء ويتفانون في خدمة قضية او يصبحون دعاة الى بعض الشرائع الاجتماعية او الافكار الانسانية ، ويقومون بتمثيل ذلك كله . الا ان الكاتب يجب أن يكون حذرا جداً في هذه الناحية ، لان ابطال الروائي ليسوا خدماً له . فقد تكون نفوسهم شريرة ، وقد يرفضون مشاركته في آرائه ، يقول موریاك : اعرف ابطالا سلكون سبيلا مخالفاً لآرائي كلها ، بل ان من البوادر السيئة ان يغدو احد ابطالنا هيكلا ينطق بلساننا ، وحين يذعن البطل لمتطلباتنا ، فان ذلك يعني غالباً انه كائن مجرد من الحياة ، وان ليس امامنا الا جثة هامدة .

ويتحدث موریاك عن تجربته الذاتية في الموضوع فيقول : لقد حدث لي غير مرة انني اكتشفت وانا اكتب رواية ما ان بطلا اساسياً من ابطالها فكرت فيه طويلا وحددت تطوره في التفاصيل الاولى من الرواية لم ينسجم انسجاماً تاماً مع المخطط لانه مات : فهو يذعن لي ولكن كما تذعن الجثث . وعلى العكس من ذلك فان بطلا ثانوياً آخر لم اعلق عليه اية اهمية تراه قد اندفع من تلقاء نفسه الى الصف الاول ، وشغل مكاناً لم ادعه اليه وقادني في مسالك لم اكن اتوقعها . مثال ذلك شخصية الطبيب كوريج في رواية (صحراء الحب) . فهذا الطبيب لم يكن ، وفق مخططي ، الا شخصاً ثانوياً فهو والد البطل الرئيسي ، ثم انتهى به الامر الى أن يجتاح كل الرواية ، وحين افكر في هذا الكتاب فان وجه هذا الطبيب المتألم يهيمن في ذهني على جميع الوجوه .

الابطال الاشرار .

كلما كان نصيب أبطال الرواية من الحياة اكبر قل خضوعهم للروائي . هناك بعض الروائيين الذين قضى عليهم سوء حظهم بأن يستوحوا أعمالهم من اقل الجوانب نبلا في نفوسهم . فأبطالهم يتجسدون في الجانب المظلم منهم ، واذا ما سألهم سائل « من اين استخرجتم كل هذا القبح » فانهم يضطرون الى الاجابة : « من نفوسنا » . وان من الخطأ أن يظن أحدنا ان هذه المخلوقات تمثل وجه الكاتب ، لانها انما جبلت من عناصر يمجها الكاتب ولا يرتضيها لنفسه ، فهي تمثل نفايات نفسه اذن . ولكن الكاتب الذي يخلق مثل هؤلاء الابطال يشعر بلذة عجيبة في ان يناضل ضدهم ، وقد يضطرهم الى أن يكتشفوا ذواتهم ، ويستطيع ان ينقذهم دون ان يحطمهم . وهذا ما فعله موریاك في روايته « عقدة الافاعي » . فهذه الرواية في ظاهرها مأساة أسرة ، ولكنها في أعماقها قصة ارتقاء نفس بعد سقوطها . فقد جهد الكاتب فى ان يجول خلال مصير انساني غارق في الوحل ليصل الى الينبوع الصافي فيه ، ولقد أنهى موریاك روايتين حين أتيح له أن يعيد الى بطله ، ابن الظلمات ، حقه في النور والمحبة ، وبكلمة واحدة ان يعيد بطله الى الله .

طالما ظن النقاد ، ان موریاك يحمل نوعاً من العداء نحو ابطاله ولا البؤساء منهم . بل ان حبه ليزداد كلما ازدادت تعاسة البطل فكأنه الام التي تتجه محبتها بشكل غريزي ، نحو اضعف ابنائها . ان بطل « عقدة الافاعي » والقاتلة تيريز ديكيرو ، لا يتمتعان ، رغم مظهرهما المفزع بالرضى عن نفسهما أو الارتياح لها . وفي هذا يكمن اعجاب موریاك بهما ومحبته لهما . لان هاتين الصفتين يندر وجودهما بين الناس انفسهم .

تكرار البطل في آثار الروائي .

قد يأتي على الكاتب حين يكتشف فيه أن بطلا واحداً يتردد ظهوره في كل رواية من رواياته . وقد تكون هذه الفترة اشد الفترات خطورة في حياته الادبية . ولكن موریاك لا يرى في هذه الظاهرة خطراً كبيراً على الكاتب. لا شك ان مما يميز كبار الروائيين هو كثرة المخلوقات التي اوجدوها . ولكننا نرى مع ذلك ان عدد الابطال الذين خلقهم كبار الروائيين كبلزاك وتولستوي ودوستويفسكي وديكنز لأقل من عدد الرواياتالتي الفوا. ذلك بأننا نستطيع ان نتابع من رواية الى اخرى ، النموذج الانساني نفسه الذي أوجده الكاتب . ولنأخذ (الأبله) لدوستويفسكي مثالا علىذلك . ان المرء ليستطيع أن يرى أخاه أو شبيهه في كل رواية من روايات

دوستويفسكي . وقـل الامر نفسه وعلى نحو اصغر في بطل عقـدة الافاعي الذي يذكـر القاريء ببطل روايـة (والدة) في كثير من تفاصيل شخصيته .

فهل يعني ذلك أن الكاتب يعيد نفسه ؟ لا يرى موررياك ذلك . فقد يتحدث الكاتب عن البطل نفسه ولكنه يضعه في ظروف حياتيـة مختلفة . ففي رواية (والدة) جعل الكاتب بطله يواجه أماً جموحاً . وفي (عقـدة الافاعي) تخيله زوجاً وأباً لأسرة وجداً ورئيس عشيرة ، وعوضـاً عن ان نلوم الكاتب على تكراره لشخص ما ، او ندفعـه الى ان يجـدد نفسـه مستعيناً بوسـائل مصطنعة فان علينا ان نعجب بقدرته على خلق كائنات تستطيع انتنتقل من مصير الى مصير ومن رواية الى اخرى ، كما تستطيع أن تبدأ حياتها من جديد في ظروف جديـدة على خلاف الكائنـات الحيـة .

وعلى هذا فحين كان الناس يدعون موررياك الى أن يجدد أبطاله فانـه كان يقول في نفسـه : ان الامر الهام أن يتجدد الكاتب من حيث التعمق ، فهو يستطيع ، دون أن يغـير طريقتـه ، أن يتوغل في تحليله الى أبعد مما كان يفعل من قبـل . فاذا كان الناس يأخـذون عليه أن بطل روايتـه (عقدة الافاعي) يشبه الى حد بعيـد بطل روايته (والدة) فانه مع ذلك استطاع أن يخطو خطوات واسعة في معرفة هذا الانسان وأن ينحدر في الرواية الثانية الى مواطـن أعمق من نفسـه .

هل هناك أدب شعبي ؟

يقول موررياك ردا على أنصار الادب الشعبي الذين اخذوا عليه أنـه لم يتحدث أبـداً عن الشعب . لماذا يقسر الكاتب نفسه أن يتحدث عن محيط لا يعرفـه معرفة عميقـة ؟! والواقع أن ليس ثمة كبير اهميـة في ان يضـع الكاتب على مسرحه دوقة او امراة بورجوازية او بائعة متجـولـة لأن المهم ان يرقى الكاتب الىالتعبير عن الحقيقة الانسانية . وان العبرة الانسانية التي يجب ان يجلوها الكاتب لتزدهر في حياة مترفة ازدهارها في حياة معوزة بائسة . فكل كاتب يحفر في البيئة التي ولد او عاش فيها . ليس هناك روائيون مترفون او روائيون شعبيون ، بل هناك روائيون ناجحون ، وآخرون فاشلون .

الرواية والمرض .

نستقر دائما خلف أكثر الروايات موضوعيـة ، مأساة عاشها الكاتب . هي مأساة صراعه الفردي مع شياطينه . وقد يكون مرد نجاح عبقريتـه الى انه لم ينقل مأسـاته الشخصية الى روايته . وان كلمة فلوبير : ان مدام بوفاري هي أنا . لذات معنى كبير . فهذه الكلمة تتطلب منا كثيراً من التفكير ، لان نظرة عجلى نلقيها على مثل هذه الروايـة لا تظهر لنا ان بينها وبين حياة الكـاتب ارتباطاً ما . ذلـك بأن رواية مـدام بوفاري أثر فني خالد ــ ونقصد بذلـك انهـا تكون كـلا متماسكاً ، وتقف كانها عالم منفصل عمن ابدعها . فكلما كان الأثر ناقصاً ، كشفت ثنايا الكتاب عن نفس مؤلفـه المسكين .

ان حيـاة الروائيين ، اذا كانوا حقـاً عظماء ، تنتهي الى نوع من الصراع العنيف يدور بينهم وبين آثارهم . وعلـى قدر مايكون الاثر عظيماً فان سيطرته عليهم تزداد وتعنف، وقد يفرض عليهم أحياناً بعض المتطلبات ، وان ما يفيـد الاثر الفني يقتل الروائي غالبا . فبعض الروائيين كفلوبير يحملهم اثرهم على ان يسـجنوا انفسهـم في سجن دائم خـارج الحياة . وغيرهـم كبروست ، يعهدون اليه بآخر انفاسهم ويستمرون في تغذيته من وجودهم حتى آخـر نسمة من حياتهم .

اما اذا تولـد الاثر الفني من كائن مريض ، كما هي الحال عند فلوبير او بروست ، فسيحمل هذا الاثر قسماً مرتبطا بالمرض ، يفضي بـه الى نهايتـه المحتومـة . كان بسكال يقول : ان المرض هو حالة المسيحي الطبيعية وانناستطيع ان نقول ذلك عن الروائي . كان صراع فلوبير وربوبروست يحجبانهما عن العـالم ويسجنانهما بين طاولة وفراش . وبينما كان الاول يبحث عن مخرج لـه في كتـاب ، كـان بروست يعلم ان له وهو مسجون بين جـدران غرفتـه ذكريات كانما جمعت خلال آلاف السنين ، فهو يستطيع ان يستخرج من نفسه عصوراً واجواء اجتماعية وفصولا وارياقاً وطرقاً وكل ماعرف واحب واستنشق وتألم مـن اجلـه ، كل ذلك كان يتوافد عليه وهو في غرفته التي لم يكد يخرج منها أبداً .

ولـكن المرض لا يفرض على الروائي طريقتـه في العمل وحسب . ان صرع دوستويفسكي ليسم كل ابطاله بشارة تجعلنا نتعرفهم بسهولة ، وان مرضـه هو الذي طبـع الانسانية التي خلقها بمزاجه الغريب ، ففي الآثار الفنيـه يتجلى كل اعوجاج أو انحراف في الكاتب ، اذا كان عبقرياً، وتفيد الآثار من ذلك لتجري في اتجاه لم يتجه فيه أحـد من قبـل . ان قانون الوراثـة الذي تسير عليـه الاسرة الانسانية يلعب دورا أيضاً في العلاقة بين الكاتب وآثاره. ولكن قد يحدث ، في المجال الروائي أن معايب الخالق قد تغني المخلوقات التي يبدع .

ومن جهـة اخرى ، فحين يكون الروائي سليم الجسم قوي البنيـة ، كما كان بلزاك مثلا ، فان الآثار لا تني تهدمه، وان العالم الذي اقامه بلزاك لم يلبث ان سقط فوقـه وسحقه . واذا لم تستطع الآثار ان تقتـل خالقها فهـي

تجعل منـه على الاقل كائناً دونها فتفرض عليه متطلبات ورغبات لا تتلاءم والحياة . ان تولستوي مثلا تزوج حين كان رجلا كغيره من الرجال وانشأ اسرة ولكنه كلما كان يتوغل في طريق العبقرية وتبدا فلسفته بالتجسد كانت حياته العائلية تقترب شيئاً فشيئاً من ذلك الجحيم الرهيب .

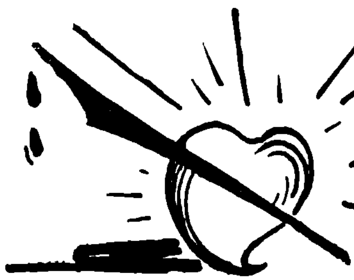
غاية الرواية .

لا يفكر الناس غالباً ان الرواية اذ تعانق الحقيقة ، قدر استطاعتها ، فهي تكذب في الوقت نفسه ، وآية ذلك ان ابطالها يشرحون افكارهم ويروونها . مع اننا نلحظ ان الكلام نادر حتى في اكثر الحيوات اضطراباً ، وان مأساة الكائن الحي تتتابع وتتفكك عقدتها في الصمت ، وان ماهو صميمي في الحياة لا يرقى اليه التعبير ابداً .

ففي الحياة الواقعية يتحدث تريستان وايزولت عن الطقس وعن المراة التي شاهداها في الصباح . واذا اردنا ان نكتب رواية مماثلة للحياة فستكون هذه الرواية مملوءة بالنقاط . ذلك بأن عالم ابطال الرواية يقوم في كوكب آخر ، في كوكب تشرح فيه المخلوقات ذواتها ، وتفضي باعترافاتها ، وتحلل نفسها وتسعى وراء المشاكل بدلا من ان تتجنبها ، ومع ذلك فنحن نستطيع ، بفضل ذلك كله، ان نفيد من الابطال لنتعمق في معرفة ذواتنا ونعي انفسنا . يجب الا يصبح ابطال الرواية مشابهين للحياة بل على العكس يجب ان يصبح الاحياء رويداً رويداً مماثلين للعبر التي تستخرج من روايات الكتاب العظام . ان لابطال الروايات معنى دائماً ، وان مصيرهم ليحمل امثولة ، وانهم ليرسمون لنا اخلاقاً لا يمكن ان توجد في مصير حقيقي يحيط به التناقض والاضطراب كل حين .

ان ابطال كبار الروائيين ، حتى حين لا يفكر هؤلاء في اظهار شيء او اثبات فكرة ما ، ليحملون حقيقة قد لايقف الناس امامها وقفة مشابهة ، ولكن على كل انسان ان يكتشفها وان يطبقها على نفسه . وهذا ما يبرر وجود الكاتب كما يبرر خلقه لعالم مثالي يرى الاحياء ، قلوبهم ، بفضله ، رؤية اوضح ، ويستطيع الواحد منهم ان يحمل نحو اخيه مزيداً من التفهم والشفقة .

جورج سالم



هجاء فرحات وعلاقته بشعره القومي

بقلم : محي عرب

لا أراني مبالغاً اذا قلت ان فرحات علم بين شعراء العرب الحديثين المهاجرين منهم والمقيمين : وهو في قفزته الرائعة تلك من شعر الضيعة القرادي والزجل وما شابه ذلك من الشعر العامي ، الى الشعر الراقي الفصيح نسيج وحده ، ولعمري ان ذلك الينبوع الدفاق السلسبيل بل ذلك التيار الجارف من الشاعرية الثرة لحري بالتقدير والاعجاب وما كانت مشقات الحياة ومتاعب الغربة ومناواة الفقر لتقف سداً حائلا امام توثبه وانهماره زلالا صافياً وسمي الخطى حيث نزل انبت العشب والزهر والرياحين ونسي الارواح والخمائل من ربيعه الدائم النظرة والخضرة، وانه لمدهش حقاً أن نرى ذلك النسر المحلق ، يدوم في سماء الشعر والفن واالخيال ، وقد اتفقت على هيض جناحه بغاث الطير ، وعواصف الرجعية والتبعية والفرقة ، فما نالت منه منالا ، ولا استطاعت مجاراته في المضمار وهو السبوق ، وما اروعه بلبلا صداحاً ، تهتز لصداحه أوتار القلوب ، وما اجمله صداحاً علوياً سحرياً وما أوقعه في النفس ، منطلقاً رغم نعيب البوم والغربان وخفافيش الظلام التي التفت من حوله تضيق انفاسه ، وتخفت صوته ، وتيبس روضه ، فلا ظلال ولا خضرة ولا زهر، وهو مع ذلك منطلق في تغريده وشدوه ، لأولئك الذين مضوا في متاهات الدروب ومجاهل الصحاري يقاسون حمارة القيظ وصبارة القر كادحين من اجل الرزق عاملين من أجل الوطن شاعرين بآمال الناس وآلامهم وعلى الاخص بني وطنهم ، الى أولئك غنى فرحات فكان لهم كواحة الصحراء المرمضة وكبدر الليلة المدلهمة الحالكة . وفرحات عصري بأسلوبه وتفكيره ولعله كذلك في جل معانيه ، ولكنه عربي القالب ، فصيح الكلمات ، لايتوعر فيها ولا يتكلف ، ونادرا ما يغوص وراء المعاني البعيدة الا ما أتاه منها عفو الخاطر ، وبين فرحات وبين الشعر المنثور والشعر الرمزي عداء مستحكم ، ولذلك اتسم شعره كله بالطابع العربي المعروف من تفاعيل وأوزان وقواف ، بتجديد ومرونة ان لم تنقض القديم وتشوهه فهي تواكب الجديد وتماشيه .

ووطن فرحات قطعة من الارض تمتد من المحيط العربي الى الخليج الفارسي تشملها اللغة العربية ، ولا يفرقها لهجة ولا دين ولا حدود ولا سياسة ، بل تجمعها اللغة والتاريخ والآلام والآمال ... وهو لهذا الوطن الواحد يدعو في شعره ونثره ، ولذلك نراه حرباً على من يراهم واقفين عثرة في سبيل دعوته تلك ، من ملوك ورجال دين واقطاعيين وشعوبيين وأذناب ...

قيل بأن فنون الشعر اربعة : غزل ، وهجاء ومديح ، ورثاء . وقد طرقها فرحات جميعاً بما فيها الحكمة والفخر والعتاب والخمر . ولعلي أضيق على نفسي كثيراً اذ اختار هجاء فرحات مجالا لمقالي وباب الوطنية في شعر فرحات والقومية عريض مفتوح على مصراعيه رحب الطريق وسيعه وقد احتل معظم شعره .

قرأت فرحات كثيراً في رباعياته وربيعه ، وصيفه وخريفه ، وفي « أحلام الراعي » وسمعته عدة مرات أتيح لي فيها ان احظى بمجلسه ، وفي كل مرة كنت ازداد اعجاباً بوطنيته الصادقة وعروبته الحقة . ولكن كم قلت بيني وبين نفسي لا أوقعني الله بلسانه فانه كالنحلة تماماً ان رضي منحك صافي الجلاب طيب الشهد وان غضب لسعك فصرعك .

وهجاء فرحات ينقسم الى ثلاثة اقسام :

شخصي : وهو ما تناول فرداً واحداً معيناً وفرحات في هجائه للافراد يقصد من ذلك اتيان الحكمة واصلاح المجتمع وعلى الاخص في رباعياته وهو مر في ذلك مرارة ابن الرومي ولكنه يختلف عن ابن الرومي بشيء واحد فقد كان ابن الرومي يتناول عيوب المهجو الخلقية والخلقية مشهراً بها اما فرحات فنادراً ما يهتم بعيوب مهجوه الخلقية بل يتقصى عيوبه في أخلاقه ومبادئه ويعرضها أمامك بأسلوب في الهجاء فذ لا تتمالك معه الا ان تتقزز وتنفر من المهجو المنكود الحظ فتارة يصوره بشكل افعى خبيثة :

اخفت ثمانين غرشاً في حقيبتها
كي تتهم الخادم المسكين بالمال
وتدعي بعد هذا أنها بشر
وان حوباءها من مصدر عال
يا حية الانس روح الشر عاطلة
فكيف ادخلتها في جسمك الحالي
لا بارك الله في هذا الجمال ولا
في والديك ولا في العم والخال

وطوراً بشكل زيز حقير مستنسر :

رويدك ايها المختال كبراً
فهذا اليسر قد يتلوه عسر

وان الخاسرين لديك ذلا
جميع حياتهم ذل وحسر
صغار اكبروك وليس بدعاً
فأن الزيز بين النمل نسر

وانه ليقيم مهجوه عن معرفة اكيدة بقدره :

عرفت الناس ارقاماً وقدماً
عرفتك عن يسار الرقم صفراً
فمالك تدعي علماً وفهماً
وتقلق راحتي شتماً وشكراً
فتمدحني وما أسديت عرفاً
وتشتمني وما ابديت نكرا
كأنك بين خلق الله كلب
يبصبص تارة ويعض أخرى

وانك لتراه بعين الشاعر عدا عن كونه قدماً نكرة ، جباناً رعديداً :

جبنت لدن رايت السوط يهوي
عليك فانت نبر لا جريء
فان تبلع هراءك ليس بدعاً
فان الكلب يبلع ما يقيء

وانت لا بد أن تأنف من لؤم هذا المهجو الجديد ونكرانه للجميل وجحوده فضل الشاعر عليه ، فهو اخف وقعاً من سعير سقر :

رمى الله الرجيم بحر نار
ولم يرم الرجيم كما رماني
رماني بابن فاعلة خبيث
له في كل مفسدة يدان
رفعت الضيم يوم الضيم عنه
فقابلني بنهشة افعوان
ولو باع اللئيم لكي يفيني
سرابيل الحليلة ما كفاني

وبالله عليك هل رايت او سمعت بلؤم صور أو بخبث سطر عن رجل قلب لئيم اروع مما صور شاعرنا مهجوه قائلا :

انظر الى هذا اللئيم فماني
ادرى بسمه من امسه الحرباء
ماشيته يوماً فدست خياله
عرضاً فأثر لؤمه بحذائي
متقلب الاطوار والافكار والا
قوال والافعال والآراء
عبد مع العبدان حر بيننا
كالماء يأخذ لون كل اناء

الهجاء الجماعي : وهو ماتناول جماعة معينة أو فئة معينة من الناس كفئة التجار والمرابين أو رجال الدين الذين يتاجرون ويشعوذون باسم الدين أو اغنياء المجتمع الذين بشمت بطونهم واكتظت صناديقهم بقدر ما هزلت نفوسهم وضمرت ضمائرهم فلا يحاولون الا نفع نفوسهم وارواء جشعهم وان كان ذلك على حساب العامل والفقير ...

وشعر قرحات في هذا الباب مبضع جراح خبير يقع على موطن الداء فيزيله ويشفي قروح المجتمع وجروحه ليبتر ما فسد من الاعضاء او ليطهر ويلئم ما انتن من جروح خوفاً من تسمم الجسم والقضاء عليه .

ولرجال الدين من هذا الهجاء نصيب وافر المسيحيين منهم والمسلمين :

كتاب مسيحكم سهل صريح
فما هذي الزوائد والحواشي
وما هذي الطقوس اذاً اذا لم
تكن حيلا لتحصيل المعاش

وانه ليضيق بتلك الطقوس ويسخر من اتباعها أمر السخرية :

هذي كنائسكم تكاد
تضيق الكون الفسيح
غصت بأتباع الطقوس
فأين اتباع المسيح

ولعل الفقر بنظر شاعرنا نعمة يحسد صاحبها :

هنيئاً للفقير فلا لصوص
تحوم على حماه ولا قسوس

كذلك نجد قرحات في هجائه التعصب والمتعصبين عامة ناري الشعر ثوري الطبع يهاجم التعصب بلا هوادة ولا وناء ، والشعر الامثل في نظره هو ما :

يثير على التعصب نار حرب
يطير على اللحى منها شرار
ترى المتعصبين اذا تراءى
لهم في الحلم ارقهم فثاروا
قذفن به قلانسهم فطارت
ولو خفت مآثمهم لطاروا

وهنالك فئة في المجتمع من مرضى النفوس والاخلاق لا يدعها قرحات تمر دون أن يسمها بميسمه المتوهج ، اولئك هم عبدة المال الباذلين في سبيله ماء الوجه وعزة النفس :

قوم يبيعون للشارين عزتهم
والعرض والدين والدنيا بدينار
لا يفرقون اذا اثروا اكللهم
تاج من الغار ام تاج من العار

اما الملوك وكم عانينا وما نزال من مفاسدهم وشرورهم فينذرهم الشاعر الحر بقوله ...

لكم البداءة والختام لنا

ويدعوك انت أيها العربي الأبي الى تحقيرهم بل الى تهديمهم :

واذا لقيت ذوي الجلالة من
ساداتنا المتحكمين بنا
وذوي السمو وكل ذي لقب
خاو كصاحبه قليل غنى
فاهزأ بالقاب بهم سمنت
وكرامة هزلت اسى وضنى
ديست بأقدام اليهود فيا
شم النفوس استنشقوا الدرنا

وقد يشمل هذا القسم من الهجاء في شعر فرحات شعباً كاملا او امة بأسرها ، ففي قصيدته « حكمة افعى » تحليل دقيق وعرض رائع يفضح سياسة امريكا الاستعمارية وتجنيها على الشعوب الضعيفة على لسان افعى تخاطب امريكا بقولها :

انا لا انصر لصاً ان من
ينصر اللص من اللص احط
انا لا احمي جناة خانة
قذف الموج بهم من كل شط
انا لا استعبد المحتاج في
« نقطة » فيها من السم نقط
انت فيك السم لا حصر له
وانا السم بنابي فقط

وفي قصيدته « كذابون » يحذرك من تصديق الانكليزي فهو كاذب وان تظاهر بالبراءة ذئب وان بدا كالحمل شيطان ولو تقمص صورة الملاك وفي الهند ومصروفلسطين امثلة من خبث بريطانيا فهي :

اشعب في رجالها
ناسك في اشاعب
تنهب الارض والسما
وهي في زي راهب
كل ما في بلادها
من بلاد الاجانب

ولم ينس الشاعر فضل فرنسا :

فان لها فضلا علينا ومنة
وبيض ايادٍ لا تكاد تصدق
امنا لصوص الشرق والغرب بعدها
فما تركت شيئاً بلبنان يسرق

اما اليهود شذاذ الآفاق وحثالة الانسانية فيندر ان تخلو قصيدة للشاعر قيلت بعد النكبة الفلسطينية ولم تذكر بها حطتهم وشرورهم ...

الهجاء الانساني : او الهجاء العام وهو ما هجى الشاعر فيه الناس كافة دون استثناء ، فهم في نظره ذئاب تنهش بعضها بعضاً وهم غيلان وان لم تظهر دماء ضحاياهم على انيابهم ، والناس في نظره انطبعوا على اللؤم فغدا الكريم بينهم غريباً ، وانعدمت بينهم فضيلة الوفاء ليحل محلها الغلظة والجفاء :

فان الناس ليس لهم وفاء
وقد جمعوا الكثير من الجفاء
هم الغيلان في هزل وجد
وفي ضيق المعيشة والرخاء

ويدهشه ان يرى بين الناس اديباً صافي الود والقلب وهم بين كلب وذيب :

يا من يعيش بقلبه ولسانه
وكلاهما صافي الوداد اديب
من اين جئت الى الثرى وبنو الثرى
كلب يبصبص للعظام وذيب
ذم الانام وانت غير مذمم
ان الكريم عن الانام غريب

وانه ليحتقر الناس فيعدهم اقذاراً :

والناس اقذار تجمعها
الاقدار تحت اظافر الدهر

وكذلك فهو يحذرهم ولا يأمن جانبهم ويدعوك الى ذلك :

هم الناس فاحذرهم ولا تجعلن لهم
عليك وان عزوا لديك نفوذا
فكم من شقيق قلب قابيل قلبه
وكم من صديق فيه روح يهوذا

وهكذا نرى انه لم يبق امام شاعرنا الكريم الا ان يردد مع أبي الطيب :

اذم الى هذا الزمان اهيله ...

وما اظنه تعداه في كل ما ورد له في هذا الباب من الشعر وقد تتبع خطاه وترسم طريقة فعله في ترسم طريق ابن الرومي في باب الهجاء الشخصي ، وان يكن المجال لا يتسع للمقارنة فلا مندوحة من ذكر هذا التشابه وقد ظهر بصورة جلية كما ترى .

اما بعد ان عرضت في هذه العجالة الهجاء في شعر فرحات لايسعني الا الاعتراف بنقص البحث لضيق المجال، وانما هي صورة حاولت ان انقل اليك ابرز ما فيها اذ لم استطع نقلها بتفاصيلها ولا بد لي قبل انهاء هذا البحث الموجز من ذكر العلاقة بين هجاء فرحات وشعره القومي .

هنالك ميزة ظاهرة في شعر فرحات عامة هي ان الصبغة القومية تطغي على جل شعره مثله في ذلك مثل الشاعر القروي ، وفرحات ان تغزل او رثا او هجا او وصف فهو لا بد عائد بك الى ذكر الوطن فان رق النسيم ذكره بنسيم لبنان العليل ، وان اخضر المرج جنح به الخيال الى خضرة لبنان وجمال الغوطة .. وان بدت امامه احدى الحسناوات عادت به الذكرى الى حبه الاول ومراتع فتوته في الوطن حيث جاد الله عليها

البطل الصغير

قصة من بلدتي

بقلم :

اسماعيل عدرة

الى النجم الآفل : جمال الدين النجار ، في ذكرى أفوله ، الأولى ...

*

لا امل .. الجراح خطيرة ، في غاية الخطورة ، والنزيف داخلي وعنيف .. قال الطبيب !

واكفهرت المرئيات في عيني الأب ، وهو يشهد ولده « نذير » مسجى على سرير الاحتضار ، ممتقع اللون ، مرتعش الصدر ، يئن بحرقة ، ويتأوه بألم ، يجمجم كلمات مبهمات ، تموجت في : الثورة .. الثأر ....

وعصفت المشاهد في ذهن الاب :

– أرجوك يا دكتور .. حياة ولدي كل شيء في حياتي .. الفداء .. الدماء .. كلها من اجل ولدي ..

وهز الطبيب راسه :

– اني مقدر فيك عاطفة الاب المفجوع ، ولكن الواقع حتمية مطلقة .. لقد أجريت العملية الجراحية في الحال ، غير أن الامل في نجاحها ، يضمحل .. ان عظام الصدر مهشمة ، والرئتين مصابتان ، والدماء تحوم حول قلبه الصغير ، فأخذت تعيقه عن الحركة ،وتترسب في الشرايين ! ..

وترنح الاب .. ثم تماسك .. تجلد .. ليس له من اراد بانتزاع الواقع أو تبديله .. انه حتمية مطلقة ... هكذا قال الطبيب .. فلا بد اذن من الصبر ، والصبر مجهود يزعزع الجبال . واجال بصره في انحاء الحجرة ، فلم تلمح عيناه سوى اشباح الموت ، تنثال طائشة عاتية ، وتعود فتعلو ثم تهبط ، في حركة مجنونة ، فوق الجسد الصغير ، المسجى ، تنتزع الروح الذي لم يقدر له ان يمتع بالحياة .. فنذير شاب يافع في ربيعه السادس عشر ، ذكي القلب ، متوقد الحس .. يحس آلام وطنه ، ويدرك ان الطغاة قوم مجحدون ، لم يرعووا في ان يسلبوا الوطن الوليد ، كل ما يعج به من حياة ، أو يرفل به من عزة .. ونذير ازاء هذه الشحنات المسمومة ثائر ابداً ، يستبسل في التظاهرات ، ويلقى بصدره الصغير سهام الغدر ، وتبح حنجرته :

– أرض العرب .. للعرب

– وطن عربي واحد . شعب عربي واحد ..

– كلنا فداء الجزائر وفلسطين ...

وقد احبه رفاقه ، وقدروا في روحه الصغير الواثب ، هذا الوعي الكبير ، الذي كان لهم منطلق التعبير الحي ، والصوت المدوي القائد ! .. ولقد حزت في نفسه هاتيك المآسي المحزنة ، المتجسدة في القلق والفاقة والحرمان والجهالة والمرض ، تغزو بلده الصغير ، فتعيق نهضته ووثبته ، وآلمه اكثر النكبة الخرساء التي افترست الحقول ، فجف الزرع ، ونضب الماء ، وماتت الاحلام ، وسدت على بلدته كوى السماء ، فنزح الانسان والحيوان والنبات !!..

وعلى اهلها بفيض من الجمال والفتنة والعذوبة ...

ولما كان الشعر القومي هو ما نزع الى بعث الهمم وايقاظ الضمائر وبعث العزيمة في النفوس للنهوض بالامة الى المستوى الامثل ، نافضة عنها غبار الذل والاستعباد ، جاطمة أدواءها الاجتماعية من جهل ومرض وتنفذ واقطاع ... ساعية الى الارتقاء في مختلف ميادين الحضارة والبناء ، وكأن فرحات في جل شعره الهجائي ينزع الى هذه المثل في سبيل بعث امته العربية من جديد ، وجدنا صعوبة جمة في التفريق بين شعره القومي وشعره الهجائي فكلاهما متمم للآخر وكلاهما يهدف الى غاية وطنية كريمة .

ختام

واذا كان الشعر مركبة يجرها جوادان هما العاطفة والخيال ويسوسها العقل فلا بد لي من القول بأن فرحات وقد أوتي عاطفة مشبوبة ، وخيالا خصباً جموحاً ، وعقلا ذكياً طماحاً ، فقد طار بتلك المركبة الى أجواء علوية سماوية لا يثبت فيها الا الفحول من الشعراء فجاد علينا من عليائه بتلك الدرر الشعرية في الوطنية الصافية والوصف الرائع والغزل المبدع ...

حفظ الله لنا شاعرنا الكبير واكثر من امثاله .

جامعة دمشق – كلية الطب
امين حرب

كان يدرك هذا تماماً ، ويتحسسه بوجدان نام ، وود لو أن يداً رحيمة تمتد فتجتث الارهاق والحرمان ، وتنشر الرخاء والرفاه .. وابتسم ! .. ابتسم اكثر من مرة ، لان اليد التي تمناها بدأت تمتد ، والفاقة والظما اخذا يتقلصان .. انها يد الروح الثوري النابع من عبد الناصر !

وعاد نذير الى منزله ، ظهيرة يوم ، من حزيران القائظ ، التهبت شمسه ، وتوهج جوه ، ولفحت ريحه الوجوه فأراقت عرقها ، والهبت بشرتها ، وكان حلقه قد جف .. فهرع شطر اناء الماء ، ولكنه سرعان ما ارتد عنه .. لقد خلا الاناء من الماء !

ــ اختاه .. ماجدة .. اني عطش !!

واستعير الماء ، وشرب نذير ! ..

فكر نذير .. اما لهذه المآسي من نهاية ؟! انظل نبتاع الماء ، والماء عزيز ، او نتطفل على بعض الجيران نسألهم كأساً من الماء ، والماء لديهم متوفر حيناً ، مفقود احياناً ؟! ..

والقى نظرة على بئر المنزل الناضبة : هذه البئر انها جافة .. صحيح .. ولكن علام وجودها في فناء الدار ؟

وسأل أباه :

ــ لنحفر هذه البئر ، علنا نمتاح منها ما يكفينا عوزنا من الماء ..

وأومأ الاب :

ــ سأبعث بعامل ، يحفر البئر ويمتاح الماء ، ان كان ثمة في جوف الارض ماء ، لتعيش واخوتك في ارواء تام .. هه .. اسررت ؟ ..

ــ لم لا .. شكراً لك ..

وجاء العامل ، وشرع يحفر البئر ويسبر قاعها ، غير ان الماء استعصى ، والجهود تذهب هدراً .. ولكن لا بد من النهل اخيراً !

لم لا اساعد هذا العامل ؟ .. فانا ليس لدي عمل .. ومعاونة العامل في حفر البئر ، تخفيف للاجرة ، وعون لوالدي ، واسراع في اسالة المياه ..

والح عليه وجدانه ، واصر على اشباع رغبة العمل والتعاون .. ولكن هل سيعلم والده في ما انتوى ؟ .. ان والده سيرفض ذلك لا محالة ، لان « نذير » اثير على ابيه ، محبب لديه ، يتوخى له الراحة ، وينشد الطمأنينة .

تردد في تفكيره .. واعتقد ان اشباع هذه الرغبة لاتعتبر خروجاً على ارادة ابيه او عقوقاً به ...

ودنا من البئر !! ..

كان الوقت ظهراً ، والعامل يلهو بكسرات خبز يلوكها ، حين نضا نذير ثيابه الخارجية ، واخذ يتدلى في البئر .

البئر عميقة .. ستة عشر متراً عمقها .. خانقة دبقة ، ضيقة ، بعيدة القاع .. يتوسطها انبوب مضخة ، يخترقها من فوهتها حتى قاعها . واستعان نذير بالانبوب ، يتدلى عليه بانزلاق ، فتعثرت قدمه ، وهوى دفعة واحدة الى قعر البئر ، يرتطم بالجوانب ، ويصطدم بالانبوب ، حتى لامس القاع ، تصدى له طرف الانبوب ليفتك به ، ويمزق صدره ، ويدعه بين الموت والحياة !! ..

*

كان الاب ما يزال يمسح بمنديله عينيه ، يكفكف دموعه ، ويهدهد آلامه ، ويجأر بدعاء مكبوت ، وابتهالات مخنوقة ، وهو يرمق بأسى قاتل البطل الصغير ، تستل منه الحياة .. وتململ الجسد المسجى :

ــ ثورة .. ثار .. ثو .. ر .. ة ..

وحف به نفر من رفاقه .. فحدجهم بنظرة منطفئة ، وصدره يرتعش بلا توان ، وانينه ما يبرح يستذرف الدموع ويجترح النفوس ..

ــ لبنان .. ليتني مت في لبنان .. في الجزا .. ئر .

وهصرت هذه المشاعر الثائرة افئدة رفاقه وابيه ، فبكوا ونحبوا ...

وفاضت الروح !

اخترقت جنازة الشهيد الصغير شوارع البلدة ، والناس فيها صم ، مذهولون .. وارتسم الشحوب على الوجوه ، وهلعت النفوس .. ووسد الجثمان المطهر رمس الابدية ، ودفن معه أمل كبير من آمال جيل !

فيا ايها العابرون هذا الضريح .. قفوا عنده وابكوا العنفوان العربي الشاب ، والروح العلي ، والنفس الجريحة !

اسماعيل عدره

موكب العلم والحضارة

بدأ عصر الفضاء منذ الرابع من تشرين الاول عام ١٩٥٧ عندما اطلق قمر صناعي في العالم، وسيدخل هذا اليوم في سجل التاريخ باعتباره نقطة انطلاق الى غزو الفضاء، وتتابعت التجارب والاقمار فتم التوصل في نطاق السنة الجيوفيزيائية الدولية الى السرعة الكونية الاولى وهي ٨ كيلو مترات في الثانية، ولم يقف التقدم عند هذا الحد بل تعداه في الثاني من كانون الثاني عام ١٩٥٩ الى اطلاق صاروخ كوني من قبل الاتحاد السوفياتي الى القمر، وهو صاروخ متعدد المراحل بلغ السرعة الكونية الثانية وهي ٢ر١١ كيلو متراً في الثانية، وبذلك انتصر العلم على حاجز من اهم حواجز الطبيعة الا وهو حاجز الجاذبية الارضية، وقد مر هذا الصاروخ بالمراحل التالية :

١ ــ في الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة من صباح الثالث من كانون الثاني سيمر الصاروخ متابعاً طريقه فوق جزيرة سومطرا وسيكون على بعد ١١٠ كيلو متر من الارض .

٢ ــ في الساعة السادسة من صباح الثالث من كانون الثاني كان الصاروخ على ارتفاع يزيد عن ١٣٧ الف كيلو متر فوق سطح الارض ضمن زاوية قدرها ٤ درجات و ٣٠ دقيقة عرضاً جنوبياً و ٣٦ درجة و ٣٠ دقيقة طولا شرقياً .

٣ ــ في الساعة الواحدة بعد ظهر الثالث من كانون الثاني بلغ الصاروخ الكوني ذو السرعة الفائقة في انطلاقه الى القمر مسافة تبعد عن الارض ٢٠٠ الف كيلو متر وفي تلك اللحظة كان الصاروخ فوق اميركا الجنوبية ضمن زاوية ٤٠ درجة طولا غرباً جنوباً . وقد بلغت حرارة سطح الصاروخ ١٥ ــ ٢٠ درجة سنتيغراد .

٤ ــ حددت الحسابات أن الصاروخ الكوني سيبلغ منطقة القمر يوم ٤ كانون الثاني ١٩٥٩ حوالي الساعة السابعة .

٥ ــ تخطى الصاروخ الكوني بفضل سرعته الهائلة القمر واتجه نحو الشمس ليصبح الكوكب العاشر في المجموعة الشمسية .

٦ ــ اتخذ الصاروخ الكوني مداره في يومي ٧ ــ ٨ كانون الثاني ١٩٥٩ واتخذ مكانه بين الارض والمريخ . ومن المحتمل أن تكون مدة دورته ١٥ شهراً وهو أول كوكب صناعي .

وقد رصد طيران المرحلة الاخيرة من الصاروخ الكوني باتباع جهاز ارسال اذاعي وضع فيه يعمل على ذبذبتين طول احداهما ١٩٩٩٧ ميغاهرتز والثانية ١٩٩٩٥ ميغاهرتز كما يطلق اشارات برقية مدة احداها ثمانية اعشار الثانية ومدة الاخرى ثانية وستة اعشار الثانية . وجهاز ارسال اذاعي يعمل على ذبذبة طولها ١٩٩٩٣ ميغاهرتز ويطلق اشارات برقية تتراوح مدتها بين خمسة اعشار الثانية وتسعة اعشار الثانية تذاع بواسطتها نتائج الارصاد العلمية، وجهاز ارسال اذاعي يعمل على ذبذبة طولها ٦ر١٨٣ ميغاهرتز ويستخدم لقياس بارامترات الحركة ولاذاعة المعلومات العلمية الى الارض، واجهزة خاصة لتكوين سحابة صوديوم تكون بمثابة مذنب اصطناعي .

يبلغ وزن المرحلة الاخيرة من الصاروخ الكوني ١٤٧٢ كيلو غراما بدون وقود كما يبلغ الوزن الاجمالي للاجهزة العلمية والقياسية مع مصادر التغذية والصندوق ٣ر٣٦١ كيلو غراما وهو موجود ضمن المرحلة الاخيرة، ويستفاد من هذه الاجهزة في :

١ ــ الكشف عن الحقل المغناطيسي للقمر .

٢ ــ دراسة كثافة وتبدلات الاشعة الكونية خارج الحقل المغناطيسي الارضي .

٣ ــ تسجيل الفوتونات في الاشعاع الكوني .

٤ ــ الكشف عن فعالية القمر الاشعاعية .

٥ ــ دراسة توزيع النويات الثقيلة في الاشعاع الكوني .

٦ ــ دراسة التركيب الغازي للمادة بين الكواكب .

٧ ــ دراسة الاشعاع الجسيمي للشمس ودراسة الجزئيات النيزكية .

لقد انفتح الطريق الى الفضاء الكوني .. والآن يزهو كوكبنا الارضي بأنه ارسل كوكبا صناعيا يرافقه في دورانه حول الشمس ونحن الذين شهدنا عدداً ضخماً من منجزات العلم نشهد مرة اخرى انتصارا جديدا لعبقرية الانسان .

(ز.ك)

عالم الفضاء أيضاً

للسيدة عواطف الحفار اسماعيل

* اقر عدد كبير من أشهر علماء العالم الفرضية الجريئة التي وضعها العالم السوفياتي شكلوفسكي عن المريخ واكد فيها ان القمرين اللذين يدوران في فلك هذا الكوكب السيار هما قمران صناعيان .

وقد كانت هذه الفرضية في البدء مجرد راي عابر ، استقبله العلماء في شيء من الطرافة وعدم الاكتراث ، ولكنهم ما لبثوا ان اكدوا صحة هذه الفرضية وهي على جانب كبير من الخطورة لا لانها تزعزع الكثير من معارفنا عن الاجرام السماوية فحسب بل لاثرها البعيد في نظرتنا الى التاريخ البشري على الارض . واول ما تثيره هذه التساؤلات هو هل توصل البشر قديماً الى مرحلة حضارية راقية تتيح لهم ان يطلقوا اقمارا صناعية قبل آلاف السنين ؟ أم ان في المريخ كائنات اكثر رقياً وحضارة من انسان الارض ، يرجع اليها اطلاق الاقمار ؟.

والمعروف أن حول المريخ قمرين صغيرين هما فوبوس وديموس ويرجع اكتشاف هذين القمرين الى القرن السابع عشر ، ففي عام ١٦١٠ أشار العالم الايطالي غاليله في رسالة وجهها الى الاب كاستيلي بايطاليا ، ان حول المريخ منطقة حمراء لا بد ان تكون ظاهرة سماوية وفي عام ١٦٥٩ رسم العالم الهولندي كريستيان هويغنز مخططاً للاجرام السماوية كما رصدها ووضع اشارة في فضاء المريخ .. ولم يكن العلماء يملكون النظارات الكافية لرصد النجوم ولذلك بقي وجود القمرين مجرد افتراض . وفي عام ١٧٢٦ نشر الكاتب الانكليزي جونتان سويفت كتابه المعروف رحلات غوليفر أشار في بعض صفحاته الى ان فلكيي لابوشا اكتشفوا الكوكبين حول المريخ .

وقد انكر عليه العلماء اذ ذاك هذا الزعم واعتبروه من ثمرات الخيال ، وسخر منه بصورة خاصة الفيلسوف فولتير ، ولكن فلكياً امريكياً اسمه اساب هول رصد هذين القمرين في ١١ آب عام ١٨٧٧ وحدد دورتهما بصورة تقريبية ، وفي مطلع القرن العشرين استطاع العالم بيكر ينغ ان يحدد بصورة علمية قطر فوبوس بـ ١٢ كيلو مترا وقطر ديموس بـ ١٠ كيلو متر ولكن العلماء صححوا هذين الرقمين عام ١٩٢٤ فقطر الاول هو ١٥ كم والثاني ٨ ك م . وهما كوكبان صغيران لا يتجاوز اكبرهما اصغر مدينة كبرى في العالم .

ومما يلفت النظر انهما في فضاء المريخ تماما ولا علاقة لهما اطلاقا بالكواكب السيارة الاخرى ، وانهما يدوران دورة كاملة لا اهليلجية كما هي الحال بالنسبة للكواكب السيارة .

ولعل هذه الملاحظات الى جانب دراسات علمية اخرى هي التي أتاحت للعالم السوفياتي شكلوفسكي أن يفاجيء العالم بهذه الفرضية .

ففي اول أيار من عام ١٩٥٩ ادلى هذا العالم بحديث الى البرافدا قال فيه .. انه في عام ١٩٤٥ قام الفلكي الاميركي شاربلر بحساب جديد للقمرين فوبوس وديموس وقارن هذا الحساب بالارقام التي وضعها الفلكي الروسي هرمان سترون فى مطلع هذا القرن ، ولاحظ ان هناك تبدلا غريباً فى دورة هذين الكوكبين .. فقد تقدم فوبوس على مداره درجتين ونصفا وبدا له ذلك أمرا لا سبيل الى تفسيره بل شيئا مستحيلا في حركات الاجرام السماوية ولاحظ فى الوقت نفسه ان فوبوس لا بد من ان يسقط على المريخ بعد ١٥ مليون سنة .

واستنتج شكلوفسكي من ذلك ان فى هذين القمرين خللا لا يفسر الا اذا استطعنا الوصول الى تعليل علمى لاقترابهما من المريخ ويقول :

ان هذا التعليل يمكن ان يرجع الى المد ، ولكن من المعروف ان أثر المد هو اقل بـ ١٠ آلاف مرة من الأثر الذي يخضع له القمران .. وهناك تعليل آخر هو جاذبية المريخ . وقد درست بدقة متناهية هذه الجاذبية ورايت ان من المستحيل ان تكون هى السبب ولا بد اذن من ان يكون القمران خاضعين لتاثيرات خاصة من فضاء المريخ اي انهما تابعان لدورة اصطناعية .. ولا تفسير لذلك الا بأنهما قد اطلقا من المريخ او سواه وانهما غير طبيعيين .

وهناك سبب آخر يجعل هذا الافتراض حقيقة هو ان خضوع هذين القمرين لتاثير الفضاء يدل على انهما خفيفان ، وليس من المعقول ان يكون قطر الاول ١٥ كم او الآخر قطره ٨ كم ، على هذا الجانب من خفة الوزن ، ولذلك فهما حتما كرتان مجوفتان أو مصنوعتان ومرسلتان الى المريخ ...

ولا يعني هذا ان المريخ آهل بالسكان الآن ، ما دام العلم لم يثبت ذلك حتى اليوم . ولكن مما لاريب فيه ان المريخ قد عرف حضارة صناعية راقية ، قامت بالمعجزات في

غابر الازمان وان اصحـاب هذه الحضارة هم الذين اطلقوا في سماء المريخ هذين القمرين ..

وقال العالم ليفي المشرف على مرصد باريس والمختص بحركات الاجرام السماوية :

بامكانكم ان تقولوا ما تريدون عن هذين الكوكبين الغامضين ولكن فرضية شكلوفسكي بالنسبة لمعلوماتنا هي على جانب من الخطورة وليس من السهل رفضها ولكننا لا نستطيع ان نتساءل ما دام في المريخ أناس على هذه الدرجة من التقدم الصناعي والرقي فلماذا لا يأتون لزيارتنا على الارض ..

وقـال العالم ريغوليه انها نظرية هامة وقد فكرت فيها طويلا ، ولكن ليس من الحكمة البرهان عليها ، ولكي نتأكد منها يجب أن نعرف وزن فيبوس وديموس ونتيقن مـن خفتهما ، ولا وسيلة لدينا الآن لذلك ..

وقال شاتزمان اعرف جيداً البروفسور شكلوفسكي واحترم قيمه العلمية الكبيرة ولكن من الصعب ان نتأكد من صحتها واصعب من ذلـك أن نقول انها خاطئة ...

وقال العالم ويليم سينتون ان وجود الحياة على المريخ أمر لا شـك فيـه ، وكل شيء يدل على ان هـذه الحياة متقدمـة في جميع مظاهرها على حياة الارض . ومـا يقوله شكلوفسكي ليس فرضية بل هو حقيقة ، لن يمضي وقت طويل حتى يبدأ الانسان الحديث مرحلة عصر جديد من حياته العلميـة .

ريح الصبا مرت على بردى ...

بقلم عدنان ابن ذريل

اقامت وزارة الثقافة والارشاد القومي حفلة تكريم الشاعر العربي الكبير الياس فرحات ، بمناسبة زيارته للجمهورية العربية المتحدة ، فألقى فيها قصيدتين من شعره ، أحداهما نحن في الشام ، ومطلعها :

جـددي يا نفس أفراح الشباب
واستمدي البشر من هذي الروابي

وهي من شعره القديم ، كان نظمها متخيلا انه هبط دمشق ، واجتمع الى اهلها ، وناجاهم ..

والثانية جديدة ، نظمها بمناسبة حفلة تكريمه ، وهي دالية ، ومطلعها :

ريح الصبا مرت على بردى
وأتت ترش على الهجير ندى

وسندرس هذه القصيدة ، محللين مضمونها ، ناقدين لها ...

افتتح الشاعر قصيدته بوصف حسي للنسيم في دمشق ، وهبوبه على بردى ، وانه استقبله بالطمأنينة ، والبشر ، فقال :

ريح الصبا مرت على بردى
واتت ترش على الهجير ندى
فاستقبلتها العين ساجية
وهفا اليها القلب مبتردا

ثم ما يعتم ان يذكر يوم سفره الى دمشق ، فيقول :

ذكرا ، وقد نعما بيومهما
يوماً اذاب الروح ، والجسد
العين كان الدمع يغرقها
والقلب اوشك ان يموت صدى

ويضيف الى ذلك :

والبحر دون الاهل مضطرب
لهديره بين الضلوع صدى
وكأنما امواجه اسد
غضبى تواكب مثلها اسدا

لو سألتني لاحتفيت بها
ومسحت عن اشداقها الزبدا
وسألتها نقلي الى وطن
للحب فيه والجمال مدى
أهلوه في عسر الزمان له
يسر ، وفي ليل الخطوب هدى
كانوا لعين الفضل قرتها
اذ كان غيرهم لها الرمدا
نفحوا العروبة من شمائلهم
بفصاحة ، وشجاعة ، وندى . .

هذا المطلع الشعري في طمأنينة الشاعر في وطنه ، من أجمل المطالع الشعرية التي نقراها اليوم ، فقد جمع بين الوصف الحسي ، والنفسي ، يصف الشاعر هبوب النسيم على بردى وطمأنينته ، كما يصف شوقه الى وطنه ، وآله .. الوصف حقاً موفق ، والسبك جزل ، سلس ..

وفي وطنه ينظر الشاعر فيجد أن الخصومات ما تزال تفرق بين أبناء أمته ، ويتمنى لو اتحد العرب ، اذن لقهروا أعداءهم ، ومناوئيهم ، فيقول :

وطن العروبة آه يا وطني
لو كنت كالاوطان متحدا
لأفاد منك الشرق مفتخراً
ولعاد عنك الغرب مرتعدا
ولراح الاستعمار منهزماً
ما دق مسماراً ، ولا وتدا
فاستوفت الدنيا كرامتها
واسترجع الانسان ما فقدا ..

ينتقل الشاعر اثرها الى الحديث عن السياسة ، وكيد الدول للبلاد ، فيذكر أنه عف ، حر ، لا يمد يده لعدو جان ، فيقول :

ولقد أقول لمن يجادلني
ويلومني ويلج منتقدا
هو صب أمريكا ويزعجه
أني أعد الظالمين عدا
أنا لا أمد يدي الى بلد
جان يمد الى الجناة يدا
دفع اللصوص الى منازلنا
ومضى يسوق اليهم المددا

يناجي الشاعر اثرها وطنه ، فيحيي جهاده ، ويحيي شهداءه ، فيقول :

يا موطني ، يا موطناً حسدت
احياؤه في الساحة الشهدا
في ميسلون وقفت منفردا
فحملت ثقل المجد منفردا ..

كتب وقراء

بين يـدي كتابان وصـلا الي في آونتين متفاوتتين . ولم اتعمد ارجاء دراستهما انما تهيأ الوقت لدراستهما الآن والكتابان هما : «شموع الكهف» و « المفسدون في الارض» واستعرض هنا دراسة موجزة عن كل كتاب وكاتبه ، محاولا تبيان مواطن الجودة ، وزوايا التقصير لكل منهما :

شموع الكهف

هذا الكتاب هو مجموعة شعرية تتضمن (٣٢)قصيدة في خمس وتسعين صفحة من القطع الصغير والحرف العادي بورق صقيل وغلاف جميل .

شاعر الكتاب الاستاذ « نصرة سعيد » . كان استاذا لي حين كنت في الابتدائي ، وكنت منـذ تلك السنين أتعشق فيه ولعه لخدمة العلم والطلاب ، اعرفه يكتب ويؤلف في العربية وفي الفرنسية ، ولكن ان يقول شعرا فهذا اول ما عرفت منه ، وذلك حين قـدم لي ديوانه في مكتب نـدوة الأدباء . فأزداد في توقيرا وعلوا ، فعرفته ثانية وقد حلق النفس مسرور المطالعـة .. قد عرض لنا نصـرة سعيد النفس مسرور المطالعـة .. قد عرض لندا نصرة سعيد قصائده عرضا فيه اناقة وذوق . فبعد ان عرف الشعر وناجاه بأنه نديمه ومزماره :

ايهـا الشعر يـا رفيـق انزوائي
ونديمي في الـذروة السـماء
انت مزمـار نشـوتي وانطـلاقي
واوار فـي ظلمتـي وشتـائي

طفق يوشح أشعاره بقصيدته « الاخوة العربية » جاعـلا العرب اسرة تلاقى أفرادها بعد بين :

فتـح الزمـان عيونـه وافاقا
فراى الأعـارب اسـرة تتلاقـى

ويعدد امجـاده ، وانتصاراتـه على العـدو ، ويشـرح بسالة يوسف العظمـة ، واصدقائه ، حتى يقول :

والحق ان الشـام مـذ وجدت
معشـوقة للمجـد مـذ وجـدا ..
كم فـوق هـذي الارض من بطـل
قـام الزمـان له ومـا قعـدا
وطنيـة ، وحميـة ، نمتـا
في نفسـه ، وترامتـا صـعدا
وهب العروبـة كـل مـا ملكت
يده ، واضنى القلـب والـكبدا
افنى الفتـوة مسرفـاً بهمـا
وطغـت كهولتـه فمـا اقتصـدا
وتزيـده الايـام تضحيـة
وتزيـده ايامهـا جلـدا ..

لقـد اجاد الشاعر حقـاً ، واطـرب ، فالمعـاني فائقة ، والاسلوب سلس ..

يعود الشـاعر الى حديث قدومـه الشام ، فيحمد الله على عودتـه الى الوطـن ، فقد كـان يرجـو رؤيتـه ، واسعده الدهر بذلـك ، فوجـده في ازدهار ، ورقي ، فيقـول :

حمـداً يعـم الشـام مـن رجـل
حـر اذا لمـح الرضـا حمـدا
اسـدت الي يـداً حكـومتهـا
وانـا ابـن مـن يسدي الي يدا
قـد كنت ارجو ان ارى وطنـي
يقظـان يرفـع للحجـا عمـدا
وبلغت مـا ارجـو فأسعدنـي
اني وجـدت الدهـر قـد عقدا
فالشعب يغنـم عيشه رغـداً ،
والجيش يمنـع بأسـه البلـدا ،
والامن بـين النـاس منتشـر ،
والعـدل يصلح كـل ما فسدا ..
والخطـة المثلى قـد انتهجـت ..
من ليس يرضى فليمت كمـدا ..

فالشعب في رغد ، والامن منتشر ، والحكم عدل ، ومن ليس يرضى ، فليمت كمدا ! ..

اننـا نحيي الاستـاذ اليـاس فرحات ، شـاكرين لـه اريحيتـه وفنه ، والحمد لله على سلامة عودتـه ، ادامـه الله ذخـراً للعروبـة ، وفخـراً للناطقين بالضاد .. والله المـوفق ..

دمشق ـ عدنان ابن ذريل

واذا بي اراه قــد خاض في مضمار وطنياتــه ، دامجاً طبيعــة دمشق الغناء بوادي النيل الظليل :

واذا زهور الشــام فــاح عبــيرها
فالنيل ، منتشياً ، يجــوب الــوادي

وابهى قصائده ، حيث تزدحم فيها جودته ذلك حين يمسك ببنانه ريشته الباسمة يصف الطبيعــة ورقتها كما في « الناعورة » خاصة و « الصفصافة » ، كما ان هناك قصائد حبذا لم يذكرها الشاعر، او لو انه انتخب غيرها مثل «زيف» و « محموم » . اما رائعته فهي «١٦ايار» تلك التي تعبــر عن روحه المتوثبــة غيرة ودفاعاً عن الوطن المجيد . ففي ديوان القصائد الوطنيــة ، والاجتماعيــة ، والطبيعيــة ، والغزليــة .. ومن وحي حبــه لافراد اسرتــه . وفي ديوانه بعض الصور الجميلة كما في « ضجر » وذلــك ايام تصليح اوراق الشهادة الابتدائية يصور فيهــا ضجر الاساتذة حين التصليح ، وقد ضحكت حين ختم القصيدة بشيء يبعد عنهم هذا الســأم :

ولــولا آنســات باسمــات
لكــان الفحص اســوأ ما ابتلينا

ولو تفحصنا الاسلوب لوجدناه متيناً .. بل متانتــه اكثر من شاعريته . ولا اعلم لمــاذا جعل اسم الاشــارة « ذي » للمؤنث ويستطيع وضع « تي » في «بؤس» حيث ان « تي » خاصة للمؤنث و « ذي » تستعمل للمذكر بعد تحويلهــا عن « ذا » . كمــا ان هنــاك بعض التقصير في الاعاريض ، وفي انتخاب الكلمات مثل :

ومــن قبــل في كهفــي الاســود
طمــوحي تلاشى وعزمي دفــن

وهل اســأل الشاعر في الختام لماذا يختفي عن الوجود كشــاعر ؟

المفسدون في الارض

الكتاب الثــاني مجموعة من سبع قصص في / ١٤٨ / صفحة مع مقدمــة واهداء . صاحبــه « يوسف احمــد المحمود » طالب جامعي كان صديقي منذ ان دخلت الجامعة والى ان تركت الجامعة لا زال في صفــه الثاني فهو كاتب قصة من واقعه الحزين بالصور الشقيــة ولكنــه لــم يكن موفقــاً في اخــراج الكتــاب ايضاً . فالجلد بسيط جداً والرسمة عليــه تضع من قــدره والورق ورق جريدة والطباعــة الاخطــاء المطبعيــة فيها كثــيرة ، وكثير مــن الكلمــات او الاســطر غائبــة عن الوجود كأسنان جدتي ، لم يكن ذلك عن بخله فقد صرف عليــه الكثير كما اخبرني، انما يحاول اول محاولــة دون ناشــر ودونما استشارة ، ويهمنا مضمون الكتاب فلندخل الى القصص .

نشعر منــذ الاهداء بل منــذ العنوان انه ناقم علــى البشريــة ، وبخاصة على عدو العرب ، وعلى اجنبي لئيم فأبتسم لشبــاب ايقظتهم القوميــــة ووهبتهم الحريــة . وافهم منذ المقدمــة انه شاب فاشــل في حبــه ـ كما قص لي ايضاً ـ ، وفاشل في درســه ، وفي التحصيل المالي وهذا ما ساعده على انماء القصة في روحه ، ولكن الكتابة ســوداء وذات طابع الشقاء والتشاؤم وهــو الذي قــال عن نفســه : « اكتب عن شقاء لا سعادة ، عن ألم لا عــن ارتيــاح » . وحين نقرأ « اعجوبة الدنيا الثامنــة » نشعر انــه يترنح ظهور رئيسنا المفــدى باستلام قيادة العرب وتقدمه ، وذلك بأسلوب طريف رشيق صادق في العرض كما شهدناه جميعاً في الجامعــة وبين الشعب .. فهــي سياسة بقالب ادبي . والملاحظات التي اراها على « العرس البعيــد » انه يخلط بين العاميــة والفصيح حين الحوار ، موفقاً تمامــاً حين السخرية ، ووصف الفقر والعذاب الا انــه امام المواقف الغراميــــة الملتهبــة مادي جامــــد التصوير .. يصف كأنــــه دون احســاس او باحساس جائع نهم . ويختم القصــة دون مسبب فقــد اغلق الباب دون من عانقها وقبلها دون أن يخبرنا سبب ذلك مع انهــا اخبرتــه باستعدادها لتحمل المشقات معه ، وكأنه اجبــر على ذلك حين وجد ان القصة قد طالت . اما « المفسدون في الارض » قصة عنوان الكتاب فانه يعرض فيها جــل آرائه في الحياة وفي الدين ، وبعض حياتــــه نفســه في القرية لذا جاءت صادقة حين تصوير الطفل النزق ، ولكنه ان وفق في العرض الا انــه لم يوفق في بعض المواقف ، فعنصر المفاجأة يطلع علينا كل لحظــة . فأول مفاجأة هي عودة ابيه من المهجر دون ان يكون لنــا سابق علم بذلك . لماذا لم يخبرنا بذلك الم يكن يدري بسفره هو ايضــــا ؟ وبعد اسطر يفاجئنا بموت اخيــه الاكبر منافسه بعــــد مرض دام سبعــة وثلاثين يومــاً وهو صغير . ايستطيع هــذا الطفل الذي لم يذهب الى شيخ القريــة ليتعلم ان يعد الايــام بهذه الدقــة ؟ .. ولكنــه يفاجئنا ثالثا بأن اباه علمــه صنع الاحذيــة . متى كان ذلك ؟ .. هل قبل ذهابه الى المهجر ؟ ام بالمراسلة ؟ .. نحن نعلم ان صنــع الاحذية الجديدة يتطلب مدة تكفي لأن تصير شاباً .

كنت اعرف « يوسف احمد » انه لا يؤمن بالله ويهــزأ بصحبه اذا قال احدهم « ان شــاء الله » او « الله الموفق في الفحوص » ، ولم يكتف بذلك بل اشار ووضح فــي قصتــــه هنا فهو لا يؤمن أن الله خالق البشر ، ويصر علــى ان جده السيد « قرد » فيقول : « ابي لا يؤمن بأن السماء ـ ولم يقــل الله ـ هي مصدر الخليقــة ، وانــا اومن بأن الارض هي المهد الاول للخليقة » . واظن ان انكاره هــذا راجع الى حياته السوداء وعدم توفقه في فحصه ، وفي بنت الحــلال .

انا قد اعجب بطريقته التشاؤمية في قصصه ، ولكنني سأملها حين اشعر انــه يسير على « روتين » واحد .

واذا عدنا الى الاسلوب فاننا سنقف امام اخطاء كثرتها بكثرة الاخطاء المطبعية . ولا يمكن ان تكون منها لان الافعال الخمســة عنــده تأتي بلا نــون « الذيــن يحيطوا ... » و « الجماهير لا تكاد تصدق عيونها » وهذا خطأ فيجــب ان يقول : « الجماهير تكاد لا تصدق عيونها » . والبطء عنده يكتبها بياء هكذا « البطيء » ، والمثنى ينصبه بالالف

« لا نرى الام والولدان » والمضارع المعتل بالواو يأخذ عنده الف فارقة التي تدخل على واو الفاعل « نفذوا » الى غير ما هنالك والمجال ضيق . ثم ان كثرة قراءته للترجمات الحرفية واشتغاله بترجمة بعض القصص اظهرت بعض الجمل مفككةليس فيها ترابط . ثم نراه يكثر في التشبيهات كثرة غير موفقة وقلتها بديعة فيبعدنا بهذا الاستطراد عن جو القصة فنرى في ص / ٤٥ / ثلاثة تشابيه في اربعة اسطر .

والذي اراه ليوسف أنه كاتب قصة ما في ذلك من شك، ولكنه قصاص محتاج الى مطالعة طويلة من كتب الادب القديمة الدسمة ، محتاج الى البسمة للحياة ، والانتظار قبل ان يطبع كتابه الثاني مدة تكفي لأن يتثقف من الحياة الثقافة الكافية ، ثم ليؤمن بالله فلا أريده أن يحقق نظرية داروين .

محمد التونجي ــ حلب

نظرة في أعماق الانسان

للدكتور محمد صبحي أبو غنيمة

نقد : النطاسي الكبير الدكتور حسني سبح

قل من العلماء الأدباء في بلادنا العربية من يقدم على التأليف والنشر في الموضوعات العلمية لكساد سوق هذه البضاعة بين القراء ورغبة سواد الناس في مطالعة ما عداها من كتب والاكتفاء في الغالب بقراءة المجلات والصحف التي تعني بما يروي غليل جمهرة القراء ويسري عن انفسهم ، أما الخوض في البحوث العلمية المحضة فليس لها غير المضطر اما في ابان سني الدراسة واما في ما يليها من متابعة في بعض الاحيان .

وموضوع تعريفي في هذا الباب يتناول كتاباً لا كالكتب التي جرت العادة على التعريف بها ، اذ ليس لمن يقع بين يديه من عامة الناس (ولا استثني الا بعض خاصتهم) الا الاكتفاء بتقليب صفحاته والتحديق في عناوين بحوثه الجذابة متجاوزاً عن الاسترسال في قراءة ما يحويه من آراء تسمو على مستوى فهمه وادراكه ، بالرغم عن البساطة البالغة التي صيغت بها لغة الكتاب وما بذله المؤلف من جهد لتذليل العقبات في سبيل حبك موضوعاته ليستسيغها غير الاطباء ، وجعلها في متناول الكثيرين ، الا بعض الشذرات الادبية والشعرية التي تخللتها فكانت بمثابة الافاوية والمشهيات التي تضاف الى الطعام لا من أجل تحسين طعمه فحسب بل لكي تزيد من الشهوة اليه ايضاً . وذلك لان ما حواه الكتاب قد صهر في بودقة واحدة الطب وعلوم الاحياء والفلسفة صهراً كان نتاجه ما يستغلق فهمه الا على الراسخين في تلك العلوم .

وطبيعي ان لا يخوض غمار هذا النوع الخاص من التآليف الا ذو بسطة في علوم الطب والاحياء والفلسفة والادب ، وهذا لعمر الحق ما تحلى به زميلنا الفاضل الدكتور محمد صبحي ابوغنيمة مؤلف (نظرة في اعماق الانسان) . واني لأكبر عمله هذا أعظم الاكبار لتجشمه الكثير من الصعاب في سبيل تأليف هذا الكتاب الذي يعد حقاً نسيج وحده ، وقد خلت من أمثاله المكتبات العربية ونضب معين مصادر ما كان على شاكلته من المؤلفات ، بين أبناء لغة الضاد . وعلى ذلك رأينا المؤلف الفاضل مضطراً في جمع شتات مباحثه الى أن يولي وجهه شطر المؤلفات الاجنبية وقد اربى عددها على المائة والعشرين معظمها من الالمانية وبعضها من الانكليزية والفرنسية في جانب النزر اليسير من المراجع العربية ، فضلا عما وعته ذاكرته من آراء ومساجلات لاساتيذه في جامعة برلين ابان دراسته الطب فيها . والى جانب هذا الجهد الادبي الذي لا يقوم ، فقد بذل الزميل جهداً آخر مادياً ليس بالقليل لالباس مؤلفه ما يستحقه من حلة قشيبة بدا فيها بجودة طبعه وكثرة الاشكال والرواسم التي زين بها ناهيك بحسن تبويب بحوثه وتنسيقها وعنايته البادية في اللغة العربية وانتقاء الالفاظ والمصطلحات فيها .

وعندما طلب الي أن أعرف بهذا الكتاب خلتني في بادىء الامر أستطيع أن أفيه حقه من التعريف بأهون سبيل ، بأن أكتفي بتصفحه وسرد ما فيه من عناوين ، وما ان حاولت ذلك حتى رايتني ملزماً بقراءة الكتاب لا قراءة معرف وناقد بل قراءة مستطلع ومستعلم ومستزيد من الفه الى يائه حينما اجد الى ذلك سبيلا ، مما ادى الى التأخر في التعريف في الوقت المضروب فحقت المعذرة وأفدت من مطالعة الكتاب فتمت الفائدة .

يقدم المؤلف كتابه بقوله (يحاول ان يستعرض امامك قصة الانسان ، وقصة الانسان كانت ولم تزل وستظل أعجب واغرب قصة في هذا الوجود) ويفتتح بحوث الكتاب بسرد مشاكل الطب في العصر الحاضر ، واخفاق العلاج في كثير من الادواء سارداً اقوال أساطين الطب المعاصرين في ما لا يزال ادراك حقيقته من العلل مستغلقاً، باحثاً بحثاً مستفيضاً في خوارق الطب واعاجيبه التي يصعب تعليلها تعليلا علمياً مقنعاً مولياً وجهه شطر أثر العوامل النفسية في الامراض والشفاء ثم البحث في أسباب الامراض من داخلية وخارجية ، واضطراب تطور مواد الغذاء الرئيسية (الآحينات وماءات الكربون والادهان واشباهها والمعدنيات) ويلي ذلك البحث في النفس وما قيل عنها في القديم وما يقال في العصر الحالي مع البحث المدقق في آلية ظهور الامراض والعلل، والتعمق في جهاز الاثارة أو جهاز الطاقة الحياتية وقبول الاثارة وتطوراتها واهدافها ثم الهبنوزة (النوم المجلوب) منتهياً الى ذكر النكتة وعملها الطبي .

ويختم المؤلف هذا الجزء الاول من هذه التحفة الفريدة بكلمة يقول فيها : **بهذه النظرة اردت ان اؤدي قسطاً من واجبي العلمي والانساني فانقل الى قراء العربية اقوال**

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ستدفع الدولة للفنانين والأدباء فى الاقليم الجنوبى بدل تفرغ حتى يتمكنوا من الانتاج بعيدا عن العوائق المادية والاجتماعية .. اصدر السيد ثروت عكاشه ، وزير الثقافة والارشاد التنفيذي للاقليم المصري ، قرارا وزاريا باعتماد اللائحة الداخلية لتفرغ الفنانين والأدباء ، قررت اللائحة مبلغا يتراوح بين ٣٠–٥٠ جنيها للناشئين وبين ٥٠–١٠٠ جنيه للممتازين ، **الغرض من ذلك هو تمكين الأدباء للتفرغ الكامل للانتاج .**

* ستقام سوق للكتاب العربي في أحد الميادين العامة بالقاهرة ، وذلك لجمع الانتاج الفكري لأدباء ومفكري الجمهورية العربية المتحدة ، ينظم هذه السوق المجلس الاعلى لرعاية الشباب .

* من الأدباء الذين رشحوا انفسهم لانتخابات الاتحاد القومي فى الاقليم الجنوبى الناقد الدكتور محمد مندور ، ومن الاقليم الشمالى السيدة وداد سكاكينى والدكتورة طلعة الرفاعى .

* جمعية الأدباء العرب ستقيم مهرجانا أدبيا كبيرا بمناسبة افتتاح مقرها الجديد فى دمشق .

* (البرنامج الثانى) فى اذاعة دمشق ، برنامج جديد كسميه فى اذاعة القاهرة ، سيذاع على موجة البرنامج الغربي ، الموجة القصيرة ، وهو برنامج فكرى أدبي موسيقي

* اكتشف الدكتور صلاح الدين المنجد ، عضو مجمع اللغة العربية ، ومدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية مخطوطات عربية نادرة يرجع تاريخ بعضها الى ١١٠٠ سنة منها كتاب (العرجان والبرصان) للجاحظ ، و(انساب العرب) للسدوسى ، وكتب أخرى فى الأدب الحديث والتاريخ والنحو واللغة . وأهم مكتشفات بعثات المعهد الحديث كتاب (سيبويه) .

* أصدر محمد مصطفى عطا كتابا جديدا بعنوان (الحركة العاقلة) يناقش فيه نظرية توفيق الحكيم التى شرحها فى كتاب (التعادلية) ، ويحاول الاستاذ عطا ان يعرض وجهة نظر جديدة فى تفسير الحياة يعارض بها توفيق الحكيم.

العلماء المجددين في الطب عما يرونه في أعماق الانسان من غرائب و « الفكر » التي تخطر لهم فيها كما سجلت ما أوحته هذه الفكرة من مفاهيم تصح في رايي أن تتخذ كقواعد علمية فتعرف بها أسرار تلك الغرائب في أعماق الانسان . أما أقوال العلماء فقد أشرت الى مصادرها بالتفصيل واما ما استوحي منها فمعروض للبحث والتمحيص ورحم الله امرأ اهدى الي عيوبي . ومن الحق أن أؤكد بأن كل ما جاء في هذه النظرة سيظل جزءا صغيراً من الكون الذي هو الانسان ويكفيني ويكفي القارىء في مثل هذه الحالة أن نتمثل بصادق قول حكيمنا العربي:

داؤك فيك وما تبصر
وداؤك منك وما تشعر
وتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

هذا ولا بد من الاشارة الى لغة الكتاب التي قلت عنها في مطلع هذه الكلمة انها سهلة وهي صحيحة درج المؤلف في اختيار المصطلحات والالفاظ على ما هو مألوف في كلية الطب من جامعة دمشق ، وجنح في بعضها الى التعريب ولكن عن طريق اللفظ في الالمانية حيث يغلب التعقيد والخروج عما هو شائع في اللغات الاجنبية الاخرى بينما المستحسن في هذا المضمار اختيار اللفظ الاهون من احدى اللغات ، كما ان بعض الالفاظ جاءت غير موحدة في بحوث الكتاب فنراه يستعمل تارة الرثية وأخرى الروماتيزما وريماتيزما عن العلة الواحدة مما يوجب الالتباس على القارىء ، وكذلك لفظة التتاني فجاءت في بعض المواضع (الكزاز) وأخرى التكزز وترجم كلمة Stress تارة بحادث نفسي وأخرى بانفعال وقد جاءت هذه الكلمة بـ Effect في موضع آخر ، وذكر الازمة الصدرية (وقد يكون لهذه الكلمة دلالة خاصة في اللغة) عن الحالة المعروفة بالربو ، واستعمل الصرعة عرضاً عن الصرع ، وغير ذلك من الهنات الطفيفة التي لا تؤثر في جوهر الكتاب مع الامل أن تصحح في طبعة ثانية .

وصفوة القول اني اهنيء الزميل الكريم على هذه التحفة الفريدة التي اتحف بها المكتبة العربية مع التطلع الى صدور الجزء الثاني لتتم الفائدة .

الدكتور حسني سبح



※ مأثرة أخرى لوزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري الى جانب مآثرها الكثيرة هي هذه السيارات المتنقلة لتثقيف أهل القرى والارياف بالكتب والسينما وعرض سائر وسائل التثقيف . فللوزارة التقدير والاحترام.

※ وضعت اللجنة التى ألفها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والأدب بالقاهرة مبادىء تحرير العقود بين الهيئات الحكومية والمؤلفين والفنانين ، بحيث تتلاءم نصوصها وقانون حق المؤلف ، اهم هذه المبادىءان تكون العقود للاتفاق لا للتنازل ، اللجنة مؤلفة من عباس محمود العقاد، وعزيز اباظه ، وفهدى علام ، وابو بكر خيرت .

※ اخراج موسوعة الفقه الاسلامي التى تعني بنشرها كلية الشريعة بالقاهرة ، موضوع اهتمام جدى .

※ الدكتور شكيب الجابرى ، رئيس جمعية الأدباء العرب يكتب رواية جديدة .

※ مطاع صفدى ، يعد روايته الجديدة (جيل القدر) للطبع .

※ دار (اردور) للتأليف والنشر ، تفاوض جان الكسان لشراء مخطوط روايته (اعواد البنفسج) لترجمتها الى اللغة الارمنية وطبعها .

※ احمد شوقى ، أمير الشعراء سيتربع فى قلب روما الى جانب فكتور هوغو وجيتيه دبايرون .. سيكون تمثال شوقى أول تمثال لأديب عربي يقام فى اوربا ، سيصدر عنه كذلك أول كتاب بالايطالية ، وسيضم الكتاب فصولا من مسرحياته .

※ تسهيلا لمهمة بعض أدباء الجمهورية العربية المتحدة ، الذين يعتزمون اصدار مجموعة من الكتب لتخليد شهداء النضال العربي في الاقليم الشمالي ، عسكريين ومدنيين ، فقد وجهت وزارة الثقافة والارشاد القومي بالاقليم السوري كتاباً الى قيادة الجيش الاول تطلب فيه موافاتها باسماء شهداء الجيش الذين سقطوا في المعارك الحربية ، وخاصة معركة طبريا التي وقعت في كانون الاول عام ١٩٥٥

※ يصدر زكي طليمات كتاباً عن تطورالمسرح وفنالتمثيل ويتولى مجلس الفنون والآداب نشر الكتاب .

※ يحتفل بذكرى الكواكبي في النصف الثاني من شهر تشرين الثاني القادم ، سيدعى الى الاحتفال كل المهتمين بالدراسات العربية من شتى أنحاء العالم .

※ أصدرت الاديبة السيدة وداد سكاكيني كتاباً جديداً اسمه (سواد في بياض) ضمت فيه مجموعة من المقالات الادبية والاجتماعية والقومية .

※ دار الوعي العربي بدمشق اصدرت كتاباً ضم عشر قصص لعشرة من قصاصي الاقليم الشمالي ، اسم الكتاب (قصص عربية) .

※ الدكتور طه حسين ، كان (فارس) أسئلة شهادة تاريخ العرب والاسلام بكلية آداب دمشق ، اذ ورد عنه سؤالان الاول عن رايه في (ان الادب الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية) والثاني عن بيت من الشعر اورده في احد كتبه وهو :

ياسعد لا تجب الدعاء فمالنا
نسب نجيب به سوى الانصار

※ يوسف ادريس ، كاتب القصة القاهري ، ثائر ، لان اكثر الادباء لم يقراوا روايته الاخيرة .

※ توالي الاديبة السيدة الفت عمر باشا الادلبي ، اقامة ندوات ادبية شهرية في بيتها بالمهاجرين .

※ الشاعر المرحوم عبد السلام عيون السود ، تنادت لجنة خاصة لجمع وطبع آثاره الادبية .

النشاط الثقافي في العالم

* عفا الفاتيكان عن الكاتب (فكتور هوغو) ، واصدر قرارا بتبرئته .. ورفعت قصة (البؤساء) من قائمة الروايات المحرمة ، القائمة وضعت منذ ٩٥ عاما .

* كتاب (الحب والجنس)للكاتبة الانكليزية اديت وورد، منعته السلطات في بريطانيا من التداول ، كانت الجمعية الطبية في لندن قد اعلنت ان هذا الكتاب يحمل للانحلال الصحي والخلقي ، تم توزيع ٤ ملايين نسخة من الكتاب قبل مصادرته .

* جون فوستر دالس ، وزير الخارجية الاميركية السابق اوصى بجميع المخطوطات الادبية النادرة في مكتبته لشقيقه الن دالس .. المكتبة تحوي عشرة آلاف كتاب.

* (الاسلام والعرب) كتاب وضعه (روم لانداو) ، الكاتب الامريكي ، تحدث فيه عن تاريخ التمدن العربي ولانداو مؤلف لاربعين كتابا من بينها (فلسفة ابن عربي)

* عين الشاعر ستشيبا تشيف رئيسا لاتحاد الروس في المكان الذي كان يشغله ك. أ. فدين .

* كتاب جديد لجاك لانزمان اسمه (طاغية على الرمال) صدر حديثا ، يتكلم فيه عن بلاترو فيللو .

* كتاب الدوس هكسلي (عودة الى طيبات العالم) ، ترجمه الى الفرنسية دينس مونييه ، وهو نقد للحياة الحديثة .

* ارنست همنجواي ، انتهى من تأليف كتاب جديد لم يضع له عنوانه . . اخر كتاب اصدره كان (الشيخ والبحر) . .

* جان بول سارتر اجاب على سؤال وجهه اليه مندوب (الجورنو) الايطالية عن الكتاب الايطالي الذي كان له تأثير على ادبه ، فقال : اديبان هما يتالو ستيرو وسيزار بافيز .

* قام الاتحاد السوفياتي بترجمة ٢٥ كتاباً امريكياً هذا العام .

* تقوم اكاديمية الاغنية الفرنسية باصدار قاموس جديد ، وهو يشمل الاغاني من ١٩٠٠ حتى اليوم . .

* ميشيل كورنو الف كتاباً اسمه (اولاد العدالة) ، وهو يتحدث فيه عن حياة المراهقين ومشاكلهم ، وقد اثار هذا الكتاب ضجة في باريس .

* هالدور لاكسنس ، الكاتب الايسلندي الحائز على جائزة نوبل عن قصته (سالكافالكا) ، قال لاحد الصحفيين الذي سأله عن مقدار شعوره بالفرح عند قبض مكافأة جائزة نوبل المادية : لم افرح كثيراً ، لانني كنت اعرف ان الحكومة عندنا تأخذ نصف المبلغ كضريبة ..

* الكاتب الوجودي الفرنسي بوريس فيات ، مات في باريس هذا الاسبوع بسبب نوبة قلبية اصابته وهو يشهد عرضاً خاصاً لفيلم اخذ عن مسرحيته المسماة (سوف ابصق على قبوركم) .

---

* انتهى الشاعر خليل الخوري من نظم قصيدته الجديدة (احزان سندباد) ، القصيدة تقع في الف بيت ، وصفها الذين اطلعوا على بعض مقاطع منها انها ناجحة .. سيتقدم بها الشاعر الى الدكتور امجد الطرابلسي وزير التربية والتعليم ليكتب عنها دراسة ونقداً .

* الشاعر احمد عبد المعطي الحجازي يعتزم اصدار ديوانه الثاني .

* رسالة تحليلية عن الشاعر المرحوم عبد الرحمن شكري ، يعدها عبد الرحمن صدقي وعلي ادهم ... تعتبر هذه الرسالة مقدمة لنشر مؤلفات الفقيد التي يشرف المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون على اخراجها.

* تم تشكيل لجنة لاختيار القصائد الخاصة بموضوع الوحدة العربية ، وستفرغ من مهمتها قريباً ، القصائد المختارة ستنشر في مجلد ضخم .

* قدم سورية الامير صقر بن سلطان حاكم الشارقة فخف أصدقاؤه ومعارفه الترحيب به ، والامير صقر شاعر عربي مطبوع ، له ديوانان مطبوعان هما الفواغي ، ووحي الحق ..

* دفع الامير صقر بن سلطان بديوان جديد الى المطبعة وهو من الشعر الوطني ، الحماسي ، وعنوانه أشواك .

* ترجم عدنان ابن ذريل كتاب الديمقراطية لبرتراند رسل ، وسينشر قريباً في دار عويدات في سلسلة منشوراتها في بيروت .

* سيدفع عدنان ابن ذريل الى المطبعة قريباً كتاباً جديدا في البلاغة ، عنوانه الأسلوب ، وكتاباً في النقد عنوانه احاديث ، وكتب ..

* مختارات من الشعر العربي ستترجم الى اللغات الاجنبية ، المجموعة الاولى من الشعر المقترح ترجمته ، تم اختيارها من شعر الفترة التي تبدأ بالبارودي ، وتنتهي بالحرب العالمية الاولى .

* (خطوة نحو الحرية) كتاب جديد الفه مارتن لوتركينج ، وهو زنجي اميركي .. موضوع الكتاب عن حادث الفتاة الزنجية التي كانت تستقل الاوتوتبيس فأمرت بالقيام من مكانها كي يحتله أبيض ، ولكنها رفضت، ثم كانت ثورة . وكان كتاب .

* أخطار الاشعاع الذري وطرق الوقاية منه ، ستشرحها مجموعة من القصص والكتب العلمية في اميركا ، يتعاون قسم البحوث الطبية في واشنطن مع الهيئات الادبية هناك على اصدار هذه المجموعة .

* (امريكا في شك) كتاب جديد الفه الكسندر ويرث وهو أشهر صحفيي امريكا الذين تخصصوا فيكتابة التحقيقات الصحفية منذ ثلاثين عاماً ، في الكتاب حقائق من أمريكا الحديثة لم يسبق نشرها .

* الكسي ازدبي ، زوج ابنة خروشوف ، رئيس الاتحاد السوفياتي عين رئيساً لتحرير صحيفة ازفستيا ، عمره ٣٤ سنة وهو اديب مطبوع .

فهرس العدد

صفحـــة